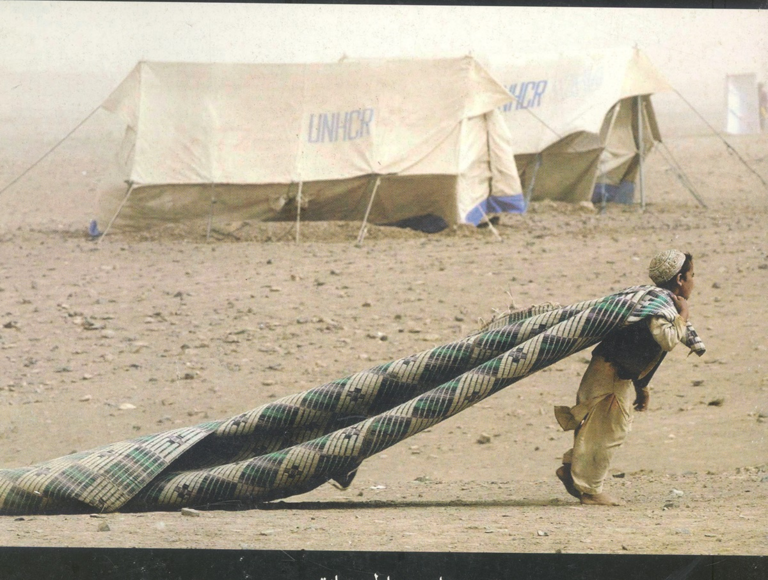
GOETHE-INSTITUT INTER NATIONES

فكر وفن

Fikrun wa Fann · عدد خاص



حوار بين الجبهات

مناقشات، تحليلات، مواقف

بعد ١١ أيلول\سبتمبر

إهـــداء 2006
الدكتور/ محمود أمين العالم
القاهرة

هل من الصحيح أن العالم برمته لم يعد حقّاً مثلما كان عليه قبل الحادي عشر من أيلول\سبتمبر حسبما يدعي الناس كلهم؟ لعلّ الإجابة على ذلك ترتبط بدرجة أساسيّة بوجهة النظر. ويبدو أن العالم بالنسبة للغرب - والولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص - لم يعد هو نفسه بالتأكيد. فالكثير مما كنا نعتبره بديهيّاً وحقيقياً سنوات طويلةً هنا في الغرب اتضح أنه كان خطأً؛ والكثير مما كنا نتوجس منه أو نخشاه في السرّ استحال فجأةً إلى حقيقة ملموسة. لقد كنّا نعي وعياً مبهماً، ولزمن طويل، حدّة التنافر بين الغرب والشرق وبين الدول الغنيّة والفقيرة وبين المنتفعين من الحداثة والمتضررين منها. بيد أننا كنا نتفادى التطلع إلى عيني هذا التنافر، معتقدين بأنه لن ينفجر أبداً كالقنبلة المطمورة. أمّا الآن فقد صححت لنا الأحداثُ رأينا شئنا أم أبينا، وبغض النظر عما إذا آمنا بأننا كنّا نستحق الدرس أم لم نؤمن: فإنه فُرض علينا فرضاً، ونعتقد على الأقل بأننا استوعبناه.

كان مركز الزلزال الذي هزّ العالم يقع في نيويورك؛ وحتى أوربا شعرت بالهزّة. لكن ما الذي تغيّر في أرجاء العالم الأخرى؟ إن حقيقة التنافر هذا الذي أدركه الكثير من الناس في الولايات المتحدة وأوربا وصدقوه الآن أولاً كان معروفاً منذ زمن بعيد من قبل الشعوب التي عانت تحت وطأته. لكنّ البعض من أبناء الدول الفقيرة ما انفكّ يقول: إن شيئاً ما لم يتغيّر، سوى أن نظرتنا إلى العالم باتت أشد صواباً.

وبالرغم من ذلك فإن المرء لا ينكر بأن أمراً ما حاسماً قد وقع. فدائما ما تكون صور العالم الجديدة طلائعَ للتغيّرات الفعلية. لقد صاغ الفيلسوف الأمريكي توماس كوهن Thomas S. Kuhn مصطلح الأمثلة النموذجيّة Paradigma فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية: بمعنى أن النظرة إلى العالم تتغير على حين غرّة وبقوّة بحيث أن الوقائع غير المرئية وغير المسلّم بها تصبح أموراً بديهية؛ وهذه هي الحال الآن أيضاً. فلم يجر الحديث في السابق بهذا القدر عن العلاقة بين الشرق والغرب، و لم يخض نقاش حول الإسلام باستفاضة مثلما هو الأمر في الوقت الحاضر، و لم تبع نُسخ من القرآن بهذه الوفرة في العالم الغربي. و لم يحدث أيضاً أن هوجم الإسلام بهذه الحدّة منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية و لم يتم الدفاع عنه بهذه الشدّة منذ ذلك العهد.

ومن خلال الكلمات تتغير السياسة؛ والأمريكان الذين لم يستخدموا جنودهم من قبل في نزاعات الشرقين الأدنى والأوسط إلا على كره، باتوا اليوم يشعرون بأنهم مطالبون بالتدخل بشكل مباشر. وبغض النظر عما إذا رحّب المرء بذلك أو لم يرحّب فإن شيئاً ما قد تغيّر عملياً. وبالنسبة للأفغان فثمة تحوّل نحو الأحسن قد حدث على الرغم من تشاؤم المتطيرين عشية الحرب. ومع أن المستقبل السياسي للبلد مازال غامضاً في الوقت الحاضر: لكن الأفغان يعيشون الآن أوضاعاً أفضل مما كانوا يعيشونها في ظلّ الطالبان. وكلّ من يعتقد بأن العالم برمته سيتخلّص من صراعاته ونزاعاته فإنه ينتظر الكثير جدّاً؛ لأن أمريكا تلعب في الواقع دوراً ما في العديد من الصراعات، بيد أنها ليست المسؤولة الوحيدة عن هذه الصراعات. وهناك الكثير من الناس يشعر بأنه مهدد من قبل أمريكا أو أنه ضحية لها، غير أنهم يرون بأن الأمريكان أنفسهم يصبحون أحياناً عرضة للتهديد، بل حتى ضحايا. وكلّ من لم تتغلب عليه الشماتة يستطيع الآن أن ينظر إلى أمريكا بعين أخرى؛ وهذا الأمر جدير بالمحاولة.

إن مجلة «فكر وفن» الموجهة إلى العالم العربي والتي يحررها الألمان تصدر منذ حوالي أربعين عاماً. ويسعى هذا العدد الخاص بالحادي عشر من أيلول\سبتمبر والذي سيصدر باللغتين الإنجليزية والفارسية أيضاً، إلى توثيق فحوى النقاش الحاد والمركّز الذي دار في ألمانيا وأوربا خلال الشهور الأخيرة حول العلاقة بين الشرق والغرب والمسيحية والإسلام والدولة والدين والدول الغنيّة والفقيرة. فهو يتضمن مساهمات لصحفيين وكتّاب وفلاسفة وأساتذة علوم إنسانية من بلدان مختلفة، ولكلّ واحد منهم خلفيته الذاتية ودوافعه المغايرة لدوافع الآخر. وفي هذا السياق فإن «فكر وفن» تتخلى عن اتخاذ موقف إلى جانب هذه الأصوات، وتهدف بدلاً من ذلك إلى جعل هذه الأصوات مسموعة، وتظهر من ناحية ثانية بأن ليس هناك كتل عقائدية صمّاء ومنغلقة تقف في مواجهة بعضها في الشرق والغرب.

لقد أدانت الكاتبة الأمريكية سوزان سونتاغ السياسة الأمريكية مثلما أدانتها الكاتبة الهندية أرونداتي روي، بينما ينتقد الصحفي الألماني غوستاف زاييت موقف العالم الإسلامي ويحذو حذوه الباحث السوري بسّام طيبي. أمّا الشاعر السوري أدونيس فيتخذ موقفاً قائماً على أسس النقد الحضاري يدين فيه الغرب والشرق على

السواء، ومثله يفعل المؤلف المسرحي الألماني بوتو شتراوس. ويؤكد الفيلسوف يورغن هابرماس على أن المجتمع ما بعد العلماني يعترف أيضاً بالدور المهم للدين. ويدافع المستشرقون - على غرار أنّا ماري شمل - عن الإسلام ويحاولون أن يلعبوا دور الوساطة بين القيم الإسلامية والغربية مثلما يفعل نافيد كرماني وكاتيون أميربور. فكرماني يحلل بلاغة ابن لادن وبوش على السواء. وتظهر أميربور، مسترشدةً بمثل إيران، بأن ما يسمى «بالقيم الغربية» لا يشكّل بالضرورة تناقضاً مع الإسلام؛ إذ أن إيران التي كانت لها تجاربها الخاصة مع الأصوليين الإسلاميين، تتخذ من الصراع الراهن موقفاً معتدلاً جديراً بالاهتمام. وقد قام الشاعر الألماني هانس ماغنوس إنتسنسبيرغر الذي زار إيران بعد مضي شهر واحد على الهجمات في واشنطن ونيويورك بتسجيل هذا الموقف الوسطي عبر انطباعات بالغة الرقة.

ولم يعد الكثير من الثوابت القديمة ساري المفعول بالنسبة للسياسيين بعد الحادي عشر من أيلول\سبتمبر، ففي الوقت الذي صوّت فيه حزب الخضر المعروف تقليدياً بمبادئه السلمية مع رئيسه وزير الخارجية فيشر إلى صالح إرسال قوات من الجيش الألماني إلى أفغانستان، نرى أن سياسياً محافظاً من الحزب الديمقراطي المسيحي هو يورغن تودنهوفر يعارض في عدد من المقالات، ننشر واحدة منها في هذا العدد، التدخل العسكري الأمريكي في أفغانستان. ويكتب مسؤول الصفحة الثقافية في جريدة فرانكفورتر الغماينه مقالة يمتدح بها جورج بوش، إلا أنه نشر في جريدته بعد أسبوع واحد مقالة لأرونداتي روي نددت فيها بالأمريكان تنديداً شديداً.

وقد استخدمت كذلك الحجج السيكولوجية لدعم الآراء المتباينة تماماً، ويعتقد الصحفي ينس يسن بأن الخوف من الإرهاب أيقظ نزعة الارتياب العصابي الأوربية السحيقة القدم، وهو خوف معظمه غير عقلاني؛ أمّا الباحث الأكاديمي كورت شيل فيتمنى على العكس من ذلك أن تحرر هجمات نيويورك وواشنطن الأمريكان من عقدة فيتنام، بحيث أنهم لا يتورعون في المستقبل عن التدخل العسكري المباشر عند الضرورة.

وإذا ما قرأ المرء هذه النصوص فسيلاحظ بأن التفاوت في الآراء لم يقم دائماً على أسس أيديولوجية - يبدو أن زمن الأيديولوجيات قد مضى بلا رجعة -، إنما على المسافة التي يتخذها المثقف إزاء الشخص الذي يتصرف ويصدر القرارات، أي الشخص السياسي على سبيل المثال. وعادةً لا يصدر المثقفون قرارات، بل يقدمون اقتراحات فحسب، ويحللون المواقف ويعيّنون المشاكل وإمكانيات حلّها؛ لذلك فإنهم يصوغون بكل سهولة جميع المواقف الممكنة، بغض النظر عما إذا كانت قريبة من الواقع أو بعيدة عنه. والسياسي يكون ملزماً أمام ناخبيه وبلده والجماعة ذات المصلحة التي أتت به إلى السلطة، بينما المثقف لم يكن ملزماً إلا أمام ضميره. لكنه هو نفسه يقف أيضاً ضمن سياقات تؤثر في وجهة نظره وتجعله يتحزّب شاء أم أبى. والسؤال الذي يطرح في هذا الصدد هو: من ذا الذي سيكون أكثر صدقاً وأنقى ضميراً، أهو الذي يحاول أن يضع اعتباراً لهذه السياقات ويعترف بنسبية موقفه فيتدبر أمره، أم هو ذاك الذي يحاول أن يجرّد هذه السياقات وينتزع لنفسه وجهة نظر معينة؟ أهو الذي يتضامن مع أصحاب الشأن قبل كلّ شيء، أم الذي يبحث عن أقصى مسافة ممكنة تفصله عن القيود والالتزامات التي تجبر أصحاب الشأن على الفعل؟ والآن لا الأيديولوجية ولا اليسار أو اليمين عادت ذات شأن، بل هذه المسافة إزاء أصحاب الشأن والتحزّب الواعي أو غير الواعي.

والكلّ تقريباً يعلم بأن العنف أمر مرفوض ولا يولّد سوى العنف المضاد، والكل تقريباً يعلم بأن علينا ألا نخضع لمخاوفنا الموروثة؛ ومع ذلك فإن العنف موجود والحقد والخوف أيضاً. وهل سيكون المثقف فطناً وذكياً إذا ما أغفل مشاعره واحتكم إلى العقل أم إذا ما وضعها في نظر الاعتبار واعترف لها بدور معين تلعبه؟ وهل سيخون المثقف الذي يراعي الدوافع اللاعقلانية، أي التقاليد والارتباطات وحساسيات الناس، هل سيخون استقلاليته الذهنية أمام الواقع؟ أم أن المثقف الذي يتجاهل هذه الدوافع سيخون، على العكس من ذلك، الواقعَ أمام التمنيات غير الواقعية؟ هذه هي الأسئلة التي لابدّ من طرحها في الخطب والمقالات والتحليلات عقب الحادي عشر من أيلول\سبتمبر. وكلّ من يقرأ هذا العدد الخاص سيجيب عليها بنفسه - ولنفتتح الكلام!

شتيفان فايدنر Stefan Weidner

كانون الثاني\يناير ٢٠٠٢

سوزان سونتاغ Susan Sontag

الجبن لم يكن من صفات القتلة

تنتقد الكاتبة الأمريكية في مقالتها – التي كتبتها كرد فعل تلقائي (خففت من حدة نبرته في مقالة لاحقة) على تعامل الحكومة ووسائل الإعلام الأمريكية مع الكارثة. وترى سونتاغ أن الأمريكيين لا يريدون الاعتراف بما أصابهم، أما السياسة الأمريكية فهي مشتركة في المسؤولية عن الكارثة.

يبدو لي، بصفتي أمريكية حزينة مصدومة ومن سكان نيويورك، أن أمريكا لم تبتعد في تاريخها عن الواقع مثلما فعلت يوم الثلاثاء الحادي عشر من أيلول\سبتمبر، ذلك اليوم الذي هوى فيه الواقع كالصاعقة على رؤوسنا. فثمة علاقة مشوهة بين الحوادث وبين كيفية استقبالها والتعامل معها من ناحية، وبين ذلك اللغو المتكبر والتضليل المفضوح الذي مارسه كل السياسيين تقريبا (باستثناء محافظ نيويورك جولياني) والمعلقون في التلفزيون (باستثناء بيتر هنينغس) من ناحية أخرى – هذه العلاقة المحبطة والمنذرة بالخطر. لقد بدت الأصوات التي يُعهد إليها بالتعليق على حدث كهذا وكأنها اشتركت معا في مؤامرة هدفها استغفال الجماهير.



أين الاعتراف بأن ما حدث لم يكن اعتداء «جبانا» على «الحضارة» و «الحرية» و«الإنسانية» أو «العالم الحر»، بل كان اعتداء على الولايات المتحدة، القوة التي أعلنت نفسها قوة عظمى وحيدة في العالم؟ أين الاعتراف بأن الاعتداء ارتُكب نتيجةً لسياسة الولايات المتحدة ومصالحها وأفعالها؟ كم عدد الأمريكيين الذين يعرفون أن الأمريكيين مازالوا يلقون القنابل على العراق؟ إذا لاكت الألسن كلمة «جبان»، فعلينا بالأحرى أن نستخدمها وصفا للذين ينفذون الضربات الانتقامية من السماء، وليس لأولئك الذين أبدوا استعدادهم للموت حتى يقتلوا أناسا آخرين. إذا كان الحديث يدور عن الشجاعة – أي الفضيلة الأخلاقية المحايدة الوحيدة – فيمكننا أن نتهم الجناة بكل شيء إلا الجبن.

لاتمل قيادتنا السياسية من التكرار المستميت بأن كل شيء على مايرام. وأنّ أمريكا لن تخاف. ولايمكن النيل من روحنا المعنوية. وسوف نحدد أماكنهم ونعاقبهم (أيا كانوا «هم») فلدينا رئيس يؤكد لنا مرارا وتكرارا كالإنسان الآلي أن أمريكا مازالت مرفوعة الهامة. والعديد من السياسيين والإعلاميين الذين كانوا حتى وقت قريب يكيلون النقد اللاذع لسياسة بوش الخارجية، لا يتفوهون الآن إلا بهذه الجملة: إنهم يقفون مع الشعب الأميركي صفا واحدا جسورا خلف رئيسهم. ويخبرنا المعلقون أن الحزانى يُعزون داخل

المراكز النفسية. طبعا لن يعرضوا علينا صورا مروعة للذين كانوا يعملون في مركز التجارة العالمي؛ إذ قد تصيبنا هذه الصور بالإحباط. ولهذا لم تجرؤ الجهات الرسمية على إعلان تقديرات عدد الضحايا إلا بعد مرور يومين على الحادث، أي يوم الخميس (هنا أيضا كان محافظ المدينة جولياني استثناء) قالوا لنا إن كل شيء على مايرام، أو على الأقل سيكون على مايرام، رغم أن أمريكا الآن في حالة حرب، ورغم أن يوم الثلاثاء سيدخل التاريخ باعتباره يوما للمذلة. لاشيء على مايرام. ولاشيء يجمع هذا الحدث بحادث بيرل هاربر. لابد من التفكير مليا — وربما يكونون قد بدأوا يفعلون ذلك في واشنطن أو في مكان آخر: أي التفكير في هذا الفشل الهائل الذي مُنيت به أجهزة الاستخبارات الأمريكية، التفكير في مستقبل السياسة الخارجية لاسيما في الشرق الأوسط، والتفكير في برامج دفاعية عسكرية معقولة لأمريكا. ولكن من الواضح أن قادتنا — أولئك الذين يمسكون بزمام السلطة، أو الذين يشتهون السلطة، أو الذين كانوا يوماً ما في السلطة — قد عقدوا العزم، وبدعم من وسائل الإعلام المطيعة والمنقادة، على ألا يصدموا الرأي العام بجرعة أكبر من اللازم من الواقع. في الماضي كنا نحتقر تلك الخطب الجوفاء المتعالية التي تُلقى في الاجتماعات الحزبية السوفيتية وتحصد تصفيق الجميع. واليوم ليس جديرا بالديمقراطية هذا الإجماع الذي يظهر في خطاب بلاغي يدعي الورع ويشوّه الواقع، وهو إجماع يصدر عن كل السياسيين والإعلاميين تقريبا.
إن زعمائنا السياسيين قد ولدوا لدينا انطباعا بأنهم يفهمون واجبهم على أنه تكليف بالتضليل والخداع: خلق الثقة وتهدئة الحزانى وتخفيف المعاناة. السياسة — أي السياسة في نظام ديمقراطي يسمح بالاختلاف والتعارض ويشجع على الصراحة — تمّ استبدالها بالعلاج النفسي. فدعونا نحزن معا. ولكن لاتسمحوا بأن نكون جميعا صرعى الغباء. قد تساعدنا ذرة من الوعي التاريخي على فهم ما حدث وما سيحدث. إنّ «بلادنا قوية»، جملة لايملون من تكرارها على آذاننا. إنها — في رأيي — لا تمنح العزاء. فمن يشكّ في قوة أمريكا؟ ولكن القوة ليست كل ما ينبغي على أمريكا إظهاره الآن.

ولدت الكاتبة الأمريكية سوزان سونتاغ عام ١٩٣٣، وتعد من أهم الكاتبات الأمريكيات. وقد نشرت عددا كبيرا من الروايات، كما أنها كثيرا ما تدلي برأيها في قضايا الساعة.

ترجمة: سمير جريس

فرانك شيرماخر Frank Schirrmacher

خطاب بوش سيغير الحضارة الغربية

الصحافي فرانك شيرماخر يرد على سوزان سونتاغ: إذ يشيد بردّ فعل الأمريكيين ويعتبره متبصراً. فالإرهابيون قاموا بعملية إخراج سينمائيّ للاعتداء، وكأنهم يفعلون ذلك طبقا لسيناريو فيلم من هوليوود، لكن الرئيس الأمريكي يتبع منطقا آخر لا تتحكم فيه الرغبة في الانتقام. لقد استهان الإرهابيون بالتعقل السياسي للغرب.

لم يقل جورج بوش ما جاء في السيناريو. حتى أنه يمكن للمرء أن يكتب: لم يقل ما كانت أمريكا إلى الآن تعتقد ما يجب قوله في هذه اللحظة. لقد قاوم ضغط وعي جماعي شديد. وبهذا، إذا ما فسرّ المرء الانطباعات تفسيراً صحيحاً، فإنه ابتدع قطعة من أمريكا جديدة. وخطابه سوف يقوم بأكثر من توطيد التضامن الدولي. إن كسر بوش للأدوار - رغم تداعيات بيرل هاربر وروزفلت - يعلن عن الوعي المتغير لدور أمريكا. وخطاب الرئيس يبين أن الأمر ليس عبارة جوفاء عندما نسمّي الصراع القادم ، كما فعل مستشار ألمانيا غيرهارد شرودر، صراعا في سبيل حضارتنا. وقد يصبح هذا الخطاب شيئا كالوثيقة التأسيسية لهذه الحضارة المتجددة. إذ أن هذا السيناريو ذا القوة العارمة، والذي بات منذ فترة طويلة يشكّل الواقع طبقاً لصورته، هو ابن هوليوود وسليل المركّب الأدبي - الصناعي في الخمسين عاما الأخيرة. وهو لا يوجد في رؤوس الساسة والجنرالات والصحافيين وحدهم؛ إنه، كصورة أدوار معولمة، مطبوع في مخيلة العالم بأسره،

وفي مخيلة الإرهابيين كما رأينا. لقد قاموا بإخراج فيلمهم الهوليوودي الدموي تماماً كما لو أنهم وجدوه في التخيّل الأمريكي. أجل، لقد أداروه ـ مثلما يدل كل تفصيل من تفاصيله، حتى زيارة أستوديو اللياقة البدنية قبل ذلك ـ كما يدير المرء جهازاً. وظنوا أنه سوف يحدث الآن ما يحدث في سيناريوهات هوليوود.
والسيناريو نصّ على ما يلي بعد الاعتداء: ثمة حكومة في مخبأ، فكرياً وواقعياً، تحرّك، في تعجل وخوف، آلية وخيمة العواقب تثير حريقا عالميا. وبالكاد عن طريق المصادفة أطلقت محطة سي أن على اليوم الذي أعقب يوم الاعتداء اسم «اليوم الذي ما بعد الواقعة» مشيرة إلى الفيلم الكارثي عن الحرب الباردة. وكان من شأن الهجوم على البنتاغون وحده أن يثير الضربة الكبرى حسب توقعات هوليوود في الثمانينات والتسعينات.
ومهما حمل المستقبل معه، فهناك شيء مؤكد اليوم وهو: أن الحكومة الأمريكية هي التي صارت تدعو إلى التحلّي بالصبر، وليس الرأي العام العالمي المعني بالأمر، كما كانت المخيلة الأوروبية تتمنى. والرئيس الأمريكي لا يجلس في ملجأ نظرا للأزمة، إنما يقوم بعد بضعة أيام من الاعتداء بزيارة أحد المساجد. وأمريكا لا تملأ العالم بنظريات تواطؤ تقع الدول العظمى في نهايتها في حرب عالمية، بل تحاول إقامة تحالف مع روسيا والصين.
وبعبارة واضحة نقول إنه: إلى يوم تدمير مركز التجارة العالمي، طالما كانت المبادرة بيد الإرهابيين، كان كل شيء مثلما هو عليه في سيناريوهات هوليوود. ومنذ ذلك الوقت لم يعد الحال كذلك. لقد أنهى الأمريكيون الفيلم. وبهذا ـ وعلى فكرة: أيضا بالنسبة إلى المجموعات الأوروبية المعروفة بعدائها لأمريكا ـ فإنهم ينهون كل شكل من أشكال التوقع. فما من شيء يجب أن يربك استراتيجية الإسلاميين وتخطيطهم مثل كسر الأدوار الشديد هذا.
«سيكون الأمر اختبار قوة»؛ هذه الجملة لم تصدر عن جورج بوش، إنما قالها سفير طالبان في باكستان. إنها اللحظة التي يريد فيها سفير طالبان، المتحدث عمداً باللغة العربية (وليس بالأفغانية)، بكلمة «اختبار قوة» أن يحدد للعالم العربي الصورة الساخرة لأمريكا، هذه الصورة التي أصبحت منذ الحادي عشر من أيلول\سبتمبر تنتمي إلى الماضي.
في حين سيكون الغرب، إذاً، غير قابل للتفسير بالنسبة إلى الإسلاميين، وسيكون من المجدي أن نفحص من طرفنا نحن الصور الساخرة التي نملكها عن المعتدين ومن يقف وراءهم. لم يكن إرهابيو نيويورك شباناً مقتلعي الجذور، جائعين ومغرّراً بهم، فالرجال الذين كانوا يدرسون في هامبورغ، ينحدرون جميعهم من الطبقة المتوسطة البرجوازية، ويبدو أن أهلهم كانوا مواطنين متنورين علمانيين تقريباً. فضلاً عن أن المعتدين لم يكونوا زهاداً قط. فمن الصديقة الألمانية إلى معاقرة الخمر قبيل الاعتداء، وكل ما يعلمه المرء يشير إلى نمط الإرهابي المعولم، الذي لا تشتمل إيديولوجيته في نواتها على شيء آخر سوى قتل الناس الآخرين. بالإضافة إلى هذا المقصد أضيف منذ ١١ أيلول\سبتمبر تخطيط وتنفيذ قتل المدنيين قتلاً جماعياً.

إن صورة الذات سوف تتحول

ومن يستطيع أن يشك جديّاً في أننا نحن أيضا سوف نحصل على خط جبهة في الداخل ؟ ومن، مثل «اتحاد الكتاب الألمان»، الذي لا نفع فيه بشكل مخيف (والذي لم يعد ينتسب إليه كتّاب تقريباً)، لا يخطر في ذهنه شيء آخر سوى التحذير من ليلة اضطهاد جديدة (تحرق فيها المساجد هذه المرة)، فإنه يتبع سيناريو بليداً رهيباً.
إن خصوم المجتمع المنفتح لا يعرفون عنه أكثر مما تلقي به صناعته الثقافية في الأسواق العالمية. والآن أصابتهم، عبر خطاب بوش، أول نكسة كبيرة. فهم لا يقدرون على تفسير الإشارات، ويحاكون، في إسلاميتهم، إسلامية العصور الحجرية، أي «اختبار القوة» الذي يعرفونه من السينما، هؤلاء أبناء الفئات الميسورة. والمجتمع المنفتح يقوم برد فعل على نحو مغاير: يردّ بحذق وذكاء وصبر أكثر. لكن من الصحيح أيضا أن مجتمعنا لم ينتظر هذا من نفسه، لأن صورته المستوحاة من الحرب الباردة، صورة التصعيد في سرعة خاطفة، والتي غالباً ما ينقلها ساسة وجنرالات ضيقو الأفق، توقفت اليوم مؤقتاً. وهذا لا يعني أنه لم يعد من الممكن أن تتصاعد الأزمة، لكنها لن تفعل ذلك لأسباب محددة في سيناريوهات الأدوار.
إن صورة الذات سوف تتحول، والأفلام والكتب ستتغير، والحضارة نفسها: وقد يؤدي هذا التحول إلى أن نفقد، نحن أنفسنا، الأحكام المسبقة عن أنفسنا. على سبيل المثال: إن كل شيء تقوم به الحضارات الغربية يجب أن ينتهي إلى نكبات. أو: إنه ليس لدينا أعداء. أو: إننا نستطيع أن نترك لأمريكا وحدها أن تستأثر بكراهية العالم الذي نعيش فيه.

فرانك شيرماخر، مولود عام ١٩٦١، رئيس القسم الثقافي في صحيفة فرانكفورتر ألغماينه.

ترجمة: أمين الشامي

بوتو شتراوس Botho Strauss

الصدمة

يتخذ بوتو شتراوس موقفاً من الأحداث الأخيرة متعارضاً تماماً مع جميع التعليقات الأخرى، فهو يطرح التساؤل: من أين جاءت أصلاً القيم الغربية التي هوجمت ويريد الكلّ الذود عنها؟ والغرب قد نسي أصله ومصادر قوته وأصابه العمى فيما يتعلّق بالماضي والبعد الميتافيزيقي للوجود؛ بينما كان الأفق الروحي للجناة يصل إلى قرون عديدة ماضية، لكنه أعمى إزاء الحاضر.

لقد شعر العالم لحظةً بالانتكاس وهو يحثّ خطاه سريعاً عندما دُكّ برجا منهاتن بضربة واحدة رهيبة، هذان الإصبعان المرفوعان إلى الأعلى قسماً بالمال. إنها ضربة اخترقت الرؤوس والخزائن والقنوات، ولعلها لم ما تخترق قلوب المؤمنين إلا على نحو طفيف. فمَن مِن أولئك المنكوبين أو ممثلي النكبة استشعر الاعتداء على عقيدته وقال: إن الإسلام لن ينفذ إلى قلبي أبداً، لأن قلبي يدافع عن خرائبه المسيحية؟

«إننا نؤمن بالحكمة وبقيم الحضارة» (توني بلير)؛ هذا الإيمان هو في الواقع مذهبنا العملي الذرائعي الذي ألزم العالم برسالته التبشيرية على نحو شديد العمق أكثر بكثير من أي دِين آخر. ولن يترك النقد الذاتي لغير المؤمنين أدنى أثر على عميان الحرب الدينية مهما بلغ من شفقة وحزن؛ إذ أن محرّك الاتصالات البالغ الضخامة اختل بسبب ذرّة عدم الاتفاق — وأصبح يدور في تلك الأجزاء المعنية بالتفاهم ما بين المتفاهمين دوراناً ساخناً ومضاعف الفراغ. أهي قيمنا الحضارية الأرفع والأسمى؟ ألم تنحدر من «مجتمع» لم يكن قد استخدم هذه التسمية إلى الآن، مجتمع بعيد كل البعد عن أن يكون «مفتوحاً»؟ فكم من السياسة تضللها أوهام السلطة! بيد أن أي سياسة ستفسح المجال للتخلّي عن الأوهام وتستطيع مع ذلك تسيير دفّة الأمور؟ ليس هناك أي حرب يستحيل فيها التفاوض على عقد صلح، ما عدا المناوشات الطويلة الأمد. فهل من إمبراطورية إسلامية تمتد من السودان إلى الصين! يا ليتنا نحظى بها! وستصبح الحرب الباردة ممكنة حينئذ، ومعها المخاطر والتهديدات المحدقة؛ فالهدنة. إن الاستعداد للحدث بات متطوراً بصورة خاصة في ظلّ الأوضاع الإعلامية الحديثة — لدرجة أن العالم كان متأهباً تماماً لاستقبال الضربة التي لم تنزل علينا من سماء صافية، بل من سماء مكفهرة على الدوام. وقد انطوت فوق ذلك كلّه على رمزية صارخة لا يمكن تجاوزها. لكن ستشهد الهجمات الشديدة المراس المستجدة على دأب واستمرارية ما هو غير متوقع والذي سيمنح هذه المرحلة إيقاعاً زمنياً جديداً وسيعترض سبيل التعجيل والإسراع الفارغين. وستحل اليقظات، أي حياة «الحذر» ويقظة التوقع، محل السبات الذي يبدو وكأنه نشاط فعّال. لقد أفزعت الضربة أصحاب المتعة واللذة فترةً وجيزة وجعلتهم يذرفون دموع التماسيح بالمعنى الحرفي للعبارة قبل أن يستأنفوا ممارسة شؤونهم من جديد. فهل هذه هي الرغبة في التكفير؟ لقد كانت الضربة مثل لكنة غريبة توغلت في مفردة بُليت في فرط الاستعمال فشطرتها. والرجل الوحيد اللائذ بالصمت هو الذي أنزلَ الكارثة: إنه عدو العالم.

هذا هو صراع الأشرار ضد الأشرار

هذا هو صراع الأشرار ضد الأشرار، والأمريكان يعرفون من هم هؤلاء الأشرار، والمحاربون أصحاب المعتقد الديني يعلمون من هو الشيطان الأكبر ومن هو الشيطان الأصغر. فهل من العجب أن يقدم بلد (ونعني به ألمانيا)، يتطلع إلى همومه المستقبلية وبصره كلّه مسلّط دائماً إلى أوزار ماضيه، على تقديم أكثر مراكزه التدريبية أماناً لسلفيي الإسلام المستقبليين؟ إذن سوف لا يبقى هناك شيء مثلما كان عليه...وهذا ما يتمنى المرء أن يشهده! لكنه سيكون بلا شكّ أشد عمقاً مما كان عليه من قبل. وأما آن الأوان لهيمنتنا التنويرية أن تنتهي إلى الأبد: إنني نتاج التحرر، لذا فمن من واجبنا أن نعتق نساء الإسلام لكي نوفّر لهن حياةً كريمة؟!

وفي إيران القرون الوسطى لم يقض على الحشاشين الإسلاميين، أي فرقة «شيخ الجبل» الدموية السيئة الصيت إلا المغول قضاءً مبرحاً. وبات المرء يستشعر اليوم حاضر تلك الفرقة الذي لا يتوافق مع حاضرنا نحن. أمّا اللوم الموجه إلى الإسلام بأنه لم يأت بأفكار جديدة منذ زمن طويل، حسبما كتب أنتسنسبيرغر، فيتطابق مع الإحساس الزمني المترنح نشوة أمام الإبداعات والذي لم يعد يعرف جبروت العمق الزمني. ويبدو أن عمى المقاتلين العقائديين والعمى الميتافيزيقي للنخبة الفكرية والثقافية في الغرب كانا يشترطان وجود بعضهما بطريقة مشؤومة وخيمة العواقب.

ولد بوتو شتراوس في عام ١٩٤٤ ويعتبر من أهم المؤلفين المسرحيين في ألمانيا، وغالبا ما تستثير مساهماته الفكرية الأوساط الثقافية الألمانية.

ترجمة: حسين الموزاني

أرونداتي روي Arundhati Roy

العدالة المطلقة وحساباتها

في مقالتها تعبر الكاتبة الهندية عن وجهة نظر الدول النامية. وترى روي أن الاعتداءات الإرهابية وقعت نتيجة للسياسة الأمريكية الأنانية التي تتبعها في آسيا والشرق الأوسط، أما الحديث عن قيم «الحرية والديمقراطية» فلا يبغي في واقع الأمر سوى الوصول إلى المصالح، الأمر الذي يثير عن حق غضب مواطني العالم الثالث. هل الحرب بين الحضارات في حقيقة الأمر حرب بين الفقراء والأغنياء؟

بعد الاعتداءات الانتحارية الخسيسة على البنتاغون ومركز التجارة العالمي قال أحد مقدمي الأخبار في أمريكا: «من النادر أن يظهر الخير والشر بهذا الوضوح كما حدث يوم الثلاثاء الماضي. فثمة أناس لا نعرفهم اغتالوا أناسا نعرفهم. وقد فعلوا ذلك بكل احتقار وشماتة» ثم انفجر الرجل باكيا.

هنا تكمن المشكلة: أمريكا تخوض حربا ضد أناس لا تعرفهم (لأنهم لا يظهرون كثيرا على شاشة التلفزيون)؛ وقبل أن تقوم الحكومة الأمريكية بتحديد هوية العدو، ناهيك عن فهم طريقة تفكيره، كانت قد أعلنت بسرعة وبكلمات مخزية إنشاء «حلف دولي» ضد الإرهاب، وقامت بحشد قواتها البرية والجوية والبحرية ووسائل إعلامها لخوض المعركة. والمأزق أن أمريكا إذا بدأت حربا فلا يمكن أن تنهيها دون محاربة أحد. أما إذا لم تجد عدوا فإنها — من أجل الجماهير الأمريكية الغاضبة — لابد أن تصنع عدوا. للحروب منطقها وحيثياتها وديناميكيتها الخاصة، وهكذا سوف يضيع من أمام أعيننا هذه المرة أيضا السبب الذي بدأت من أجله الحرب.

إننا نرى هنا كيف يدفع الغضب أعظم دول العالم إلى الوقوع تلقائيا في أحضان غريزة قديمة توسوس بخوض حرب جديدة. نعم، على أمريكا أن تدافع عن نفسها، ولكن فجأة تبدو السفن الحربية الضخمة وصواريخ كروز ومقاتلات إف ١٦ كعملاق ثقيل الحركة. ترسانة أمريكا الذرية لا تصلح للردع. الأمواس والمطاوي والغضب البارد هي الأسلحة التي تُخاض بها حروب القرن الجديد. الغضب هو المفتاح. إنه يتسلل من الحواجز الجمركية، ولا يظهر عند تفتيش الحقائب.

ضد من تحارب أمريكا؟ في العشرين من سبتمبر/أيلول أعلن مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي أي) عدم تأكده من هوية بعض الخاطفين. في اليوم ذاته صرح الرئيس جورج بوش: «أننا نعرف هؤلاء الناس، ونعرف أي الحكومات تدعمهم» أي أن الرئيس الأمريكي يعلم أحيانا ما لا يعلمه مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي أي) والجمهور الأمريكي. و في خطابه أمام الكونغرس وصف الرئيس بوش أعداء أمريكا بأنهم «أعداء الحرية». و قال الرئيس: «يتساءل مواطنو الولايات المتحدة عن سبب كراهيتهم لنا... إنهم يكرهون حرياتنا — حرية العقيدة، وحرية التعبير عن الرأي، وحرية الانتخاب، وحرية الاجتماع، وحرية الاختلاف في الرأي» هنا يُطلب منا شيئان: علينا أن نصدق أن العدو هو ذلك الذي تعتبره هذه الحكومة عدوا، على الرغم من أنها لا تستطيع تقديم أدلة ملموسة على ذلك؛ من ناحية أخرى يجب أن نصدق أن دوافع العدو هي تلك التي تعلن عنها الحكومة، على الرغم من انعدام الأدلة أيضا. لأسباب استراتيجية وعسكرية واقتصادية لابد أن يُقنَع الرأي العام الأمريكي بأن الخطر يهدد الحرية والديمقراطية وطريقة الحياة الأمريكية The American way of life. هذه الرسالة من السهل أيضا توصيلها وسط الأجواء الحالية التي يسودها الحزن والسخط والغضب.

ولكن إذا صحت الرسالة فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا هوجمت الرموز الاقتصادية والعسكرية لأمريكا — أي مركز التجارة العالمي والبنتاغون — وليس تمثال الحرية؟ أليس من الجائز أن يكون الغضب المظلم الذي قاد إلى الاعتداءات لا علاقة له بالحرية والديمقراطية، بل تفجر في الصدور لأن الحكومات الأمريكية قد ساندت ما هو عكس ذلك تماما — وساندت الإرهاب العسكري والاقتصادي، ساندت المنشقين والأنظمة الديكتاتورية العسكرية والتعصب الديني وأعمال الإبادة الجماعية (خارج أمريكا) التي لا يمكن تصورها؟

حتما يصعب على الأمريكيين الثكالى أن ينظروا إلى العالم بعيون مغرورقة بالدموع، ويروا موقفا قد يبدو



لهم لامباليا، ولكنها ليست لامبالاة، بل الحدس أو التوقع. إنها الحكمة القديمة التي تقول إن من يزرع يحصد. فعلى الأمريكيين أن يفهموا أن الكراهية ليست موجهة ضدهم، بل ضد سياسة حكومتهم. والأمريكيون يعرفون تماما أن العالم كله يرحب بهم أينما حلوا، يعرفون أننا نحب عازفي الموسيقى العباقرة والأدباء والممثلين والأفلام ونجوم الرياضة الأفذاذ لديهم. لقد تأثرنا كلنا بالشجاعة والكبرياء الذين أظهرهما رجال الإنقاذ والمطافئ والموظفون العاديون في الأيام والأسابيع التي تلت الاعتداءات.

عبرت أمريكا عن حزنها تجاه ما حدث بأقصى درجة من درجات العلنية. سيكون من الغريب أن نتوقع من الأمريكيين أن يخففوا من غلواء حزنهم أو يهونوا من شأنه. ولكن من المؤسف أن يطلب الأمريكيون من العالم بأسره التعاطف معهم والثأر فقط لموتاهم، بدلا من محاولة فهم أسباب أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول. ويتوجب علينا نحن إذن أن نوجه الأسئلة المحرجة وأن ننطق بالكلمات الصعبة. ولأننا نتحدث عن آلامنا في وقت غير مناسب، فسوف يلوموننا ويتجاهلوننا وربما في النهاية يخرسوننا. وعذرنا أن العالم يقف على أبواب حرب؛ وما ينبغي قوله، يجب أن يُقال بسرعة.

ولكن قبل أن تبدأ أمريكا في توجيه دفة «التحالف الدولي ضد الإرهاب»، وقبل أن تطلب من دول أخرى (وترغمها على) المشاركة الفعالة في مهمة تكاد تكون إلهية — الاسم الأصلي للعملية العسكرية هو «العدالة المطلقة» — لابد أولا من توضيح بضعة أشياء. هل تخوض أمريكا حربا ضد الإرهاب في أمريكا أم ضد الإرهاب عموما؟ من أجل ماذا تثأر أمريكا؟ أمن أجل الفقدان التراجيدي لأرواح سبعة آلاف إنسان تقريبا، وتدمير مساحة قدرها حوالي نصف مليون متر مربع من المكاتب في مانهاتن، وهدم جناح من البنتاغون، وفقدان مئات الآلاف لوظائفهم، وإفلاس عدد من شركات الطيران، وانهيار بورصة نيويورك؟ أم أن الأمر يتعلق بأكثر من هذا؟

عندما سُئلت مادلين أولبرايت — وزيرة الخارجية الأمريكية سابقا — عام ١٩٩٦ عن نصف مليون طفل عراقي قضوا نحبهم من جراء الحصار الاقتصادي الأمريكي المفروض على العراق، تحدثت أولبرايت عن «قرار صعب للغاية»، إلا أن الثمن الإجمالي «لم يكن مرتفعا». ولم تفقد أولبرايت وظيفتها بسبب هذا الكلام، إنّما ظلت تسافر حول العالم ممثلة لحكومة الولايات المتحدة. العقوبات مازالت مفروضة على العراق، ومازال الأطفال يموتون. وهنا مربط الفرس: أي هذه التفرقة التعسفية بين الحضارة والبربرية، بين «قتل الأبرياء» و «الحرب بين الحضارات» و «الأضرار المصاحبة للحروب». هذه السفسطة وطريقة الحسابات المتعسفة «للعدالة المطلقة»: كم عراقيا يجب أن يموت حتى يتغير العالم إلى الأفضل؟ كم ميتا في أفغانستان مقابل كل ميت أمريكي؟ كم عدد القتلى من النساء والأطفال مقابل رجل ميت؟ وكم عدد القتلى من المجاهدين مقابل رجل أعمال؟

إن تحالفا من القوى العظمى في العالم يضيق الخناق الآن حول أفغانستان، هذا البلد الذي يعد من أفقر بلدان العالم والذي عانى أكثر من غيره من دمار الحروب. ذنب هذا البلد هو أن حكومة طالبان وفرت المأوى لأسامة بن لادن، المتهم بمسؤوليته عن وقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول. ولكن لم يعد هناك شيء يمكن تدميره في أفغانستان سوى البشر. (من بينهم



نصف مليون طفل يتيم كسيح. تقول التقارير إن العرج والكسح يتدافعون ويتزاحمون عندما تُلقى السيقان الصناعية من الطائرات على القرى الجبلية البعيدة). وإنّ الاقتصاد الأفغاني وصل إلى نقطة الصفر. حقول الفلاحين أمست قبورا جماعية. الألغام الأرضية مزروعة في كل مكان – حسب أحدث التقديرات حوالي عشرة ملايين لغم. وثمة مليون إنسان فروا إلى الحدود الباكستانية خوفا من هجوم أمريكي. المواد الغذائية نفذت. منظمات الإغاثة أرغمت على ترك البلاد. ووفقاً لتقارير محطة الإذاعة البريطانية بي بي سي فإنّ الأفغان يقفون على شفا إحدى أسوأ الكوارث الإنسانية في العصر الحديث شهوداً «للعدالة المطلقة» في القرن الجديد؛ مدنيون يتضورون جوعا في انتظار أن يُقتلوا.

في أمريكا هناك من تبجح مُطالبا «بإلقاء القنابل على أفغانستان إلى أن تعود إلى العصر الحجري». هل يتكرم أحد وينشر الخبر القائل إن أفغانستان تعيش بالفعل في العصر الحجري؟ أما مسؤولية أمريكا عن ذلك فهي غير ضئيلة – إن كان في ذلك عزاء. ربما تنتاب الحيرة الشعب الأمريكي إذا سُئل أين تقع أفغانستان بالضبط (يقولون إن بيع الخرائط يشهد الآن رواجا كبيرا)، مع أن الحكومة الأمريكية تربطها صداقة قديمة بأفغانستان.
بعد الغزو السوفيتي لهذا البلد عام ١٩٧٩ بدأ جهاز الاستخبارات الأمريكي (سي أي إيه) وجهاز الاستخبارات العسكرية في باكستان (أي إس أي) أكبر عملية سرية في تاريخ جهاز سي أي إيه. وكان الهدف الاستفادة من المقاومة الأفغانية وتقوية العنصر الإسلامي فيها ودعمه حتى تتمرد الجمهوريات الإسلامية داخل الاتحاد السوفيتي ضد النظام الشيوعي إلى أن تقوضه في النهاية. كان لهذه العملية أن تصبح فيتنام الاتحاد السوفيتي. وخلال عدة سنوات قام جهاز سي أي إيه بتجنيد ودعم حوالي مائة ألف من المجاهدين المتطرفين من حوالي أربعين دولة إسلامية كي يخوضوا حربا ضد الاتحاد السوفيتي نيابة عن الأمريكان. لم يكن هؤلاء المقاتلون يعلمون أنهم يجاهدون في سبيل «العم سام». (فيالها من سخرية وهي أن الأمريكيين لم يعلموا أيضا أنهم كانوا يمولون أعداء المستقبل)!
بعد عشر سنوات من الكفاح المرير أُجبر الروس عام ١٩٨٩ على الانسحاب من أفغانستان، مخلفين بلدا كان محتضّرا، فأضحى ركاما. وظلت نار الحرب الأهلية في أفغانستان مستعرة، وانتقلت شرارة الجهاد إلى الشيشان، ومن ثمة إلى كوزوفو، وأخيرا إلى كشمير. واستمر جهاز سي أي إيه في تقديم المال والعتاد، ولكن التكاليف بلغت من الضخامة حدا جعل المجاهدين – بحثا عن مصادر أخرى للمال – يأمرون الفلاحين بزراعة الأفيون (كضريبة ثورة) وأنشأ جهاز المخابرات الباكستاني مئات من المختبرات في أفغانستان لإنتاج الهيروين. بعد عامين من وصول جهاز سي أي إيه كانت منطقة الحدود الأفغانية الباكستانية قد غدت أكبر منتج للهيروين في العالم. أما الأرباح السنوية، فكانت تتراوح ما بين مائة ومائتين مليار دولار، فقد تم ضخها في معسكرات تدريب المجاهدين وتسليحهم.
في عام ١٩٩٥ اغتصبت جماعة طالبان السلطة في أفغانستان. كانت طالبان آنذاك طائفة هامشية من الأصوليين المتعصبين الذين حصلوا على الدعم المالي من المخابرات الباكستانية، الصديق القديم لـ سي أي إيه، وعلى الدعم السياسي من أحزاب عديدة في باكستان. فأسست الحركة نظاما إرهابيا كان أول ضحاياه الشعب

الأفغاني نفسه، لاسيما النساء. وبالنظر إلى انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبها فإنه من غير المتوقع أن تلين طالبان أو تركع أمام التهديدات الحربية حتى تجنب المدنيين مخاطر حرب جديدة. هل هناك مفارقة أكثر من أن تتحالف روسيا الآن مع الولايات المتحدة لتدمير أفغانستان مرة أخرى؟ فالسؤال هو: هل يمكن تدمير الأطلال؟ إن إلقاء المزيد من القنابل على أفغانستان لا يعني سوى المزيد من الأنقاض، وفتح القبور القديمة، وإقلاق الموتى.

وماذا عن حليف أمريكا الوفي؟ إنّ معاناة باكستان كانت هائلة أيضا. لقد ساندت الحكومات الأمريكية دائما نظم حكم ديكتاتورية عسكرية عملت على وأد الديمقراطية في بلادها. وقبل ظهور جهاز سي أي إيه في باكستان كان هناك مدمنون على الأفيون في المناطق الريفية. بين عام ١٩٧٩ وعام ١٩٨٥ ارتفع عدد مدمني الهيروين من صفر إلى مليون ونصف. وهناك ثلاثة ملايين لاجئ أفغاني يعيشون في مخيمات على الحدود مع باكستان، حيث وصل الاقتصاد إلى الحضيض. والبلاد ممزقة ما بين الصراعات الاجتماعية العنيفة، وزعماء مافيا المخدرات، والتحويلات النقدية المصاحبة للعولمة. المدارس والمعسكرات التي أُنشئت في السابق لمكافحة السوفيت تخرج الآن الأصوليين الإرهابيين الذين يجدون دعما كبيرا من الباكستانيين. حركة طالبان، التي تساندها وتمولها الحكومة الباكستانية منذ سنوات، تنعم أيضا بحلفاء استراتيجيين داخل الأحزاب الباكستانية. وفجأة تطلب الولايات المتحدة من الحكومة الباكستانية الانقضاض على الوحش الذي سمنته لسنوات عديدة – وهو مطلب قد يضع الرئيس مشرف في مواجهة ما يشبه الحرب الأهلية، وذلك بعد أن وعد الأمريكان بتقديم الدعم.

أما الهند فقد حالفها الحظ حتى الآن وأبعدها – بفضل موقعها الجغرافي وحكمة الساسة السابقين – عن التورط في هذه اللعبة الكبيرة، التي ربما كانت ستقضي على الديمقراطية الهندية. واليوم ينتابنا الرعب ونحن نرى الحكومة الهندية لا تنفك تطلب من الأمريكان إقامة قواعدها العسكرية على أراضي الهند بدلا من باكستان. إن كل بلد من بلدان العالم الثالث، يعاني من ضعف الاقتصاد واضطراب الوضع الاجتماعي، يعلم تماما أن توجيه الدعوة لقوة عظمى مثل الولايات المتحدة (سواء كان الأمريكان ضيوفا عابرين أم مقيمين) يشبه أن يطلب سائق سيارة من أحد المارة أن يقذفه بحجر في الزجاج الأمامي. يُشاع أن الهدف من تنفيذ عملية الحرية الدائمة هو الحفاظ على طريقة الحياة الأمريكية وقيمها. إلا أن العملية ربما تنتهي بالقضاء على تلك القيم تماما، بعد أن تنشر مزيدا من السخط والرعب في العالم. بالنسبة لعموم الأمريكيين يعني هذا أنهم سيعيشون في أجواء من القلق المرعب: هل سيكون طفلي في أمان بالمدرسة؟ هل سيُسرب غاز أعصاب في أنفاق المترو؟ أم ستكون هناك قنبلة في قاعة السينما؟ هل سيعود حبيبي سالما هذا المساء؟ والتحذيرات انتشرت بالفعل بشأن احتمالات حرب جرثومية – الجدري والطاعون والجمرة الخبيثة – وقد تُخاض باستخدام طائرات الرش البسيطة.

سوف تستخدم حكومة الولايات المتحدة – وكل حكومة أخرى في العالم – مناخ الحرب الحالي ذريعةً لتقليص حرية الرأي وحقوق المواطنين الأخرى؛ ذريعةً لفصل بعض العمال، وإذلال الأقليات العرقية والدينية، والقيام بإجراءات تقشف في الموازنة، وضخ المبالغ الضخمة في عروق الصناعات الحربية.

أمريكا تخوض حربا ضد أناس لا تعرفهم

و لِمَ؟ إنّ الرئيس جورج بوش لن يستطيع «تحرير العالم من الأشرار»، ولا الإنعام عليه بأفواج من القديسين. إنه لمن السخف أن تعتقد الحكومة الأمريكية مجرد اعتقاد أنه يمكن اقتلاع الإرهاب بمزيد من العنف والقمع. الإرهاب عارض وليس مرضا. وليس له موطن. إنه مؤسسة تتخطى القوميات وتمارس نشاطها في العالم كله، تماما مثل كوكاكولا وبيبسي كولا. وعند ظهور أولى بوادر الصعوبات يجمع الإرهابيون أمتعتهم ويرحلون، تماما كالشركات المتعددة الجنسيات التي تنتقل «بالمصانع» من بلد إلى آخر بحثا عن فرص أفضل.

حتما لن يختفي الإرهاب كظاهرة أبدا، وإذا أرادت أمريكا احتواءه فعليها أن تعرف أولا أنها لا تعيش وحدها على هذا الكوكب، بل مع أمم أخرى، مع بشر آخرين يحبون ويحزنون، لهم قصصهم وأغانيهم، ولديهم أيضا حقوق – حتى وإن كانوا لا يظهرون على شاشة التلفزيون. ولكن عندما سُئل وزير الدفاع دونالد رامسفيلد عن مفهومه للنصر في الحرب الأمريكية الجديدة فقد كانت إجابته: إذا استطاع إقناع العالم أن بإمكان الأمريكان الاستمرار في طريقة حياتهم كما هي، فهذا هو النصر.

إن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول بطاقة تعريف وحشية لعالم ضل ضلالا مخيفا. ربما كتب الرسالة – من يعرف ؟ – أسامة بن لادن، وقام بتوصيلها

أتباعه، ولكنها قد تحمل توقيعات أرواح الضحايا الذين سقطوا في حروب أمريكا السابقة: ملايين القتلى في كوريا وفيتنام وكمبودشا، الـ ١٧٥٠٠ قتيل من جراء الغزو الإسرائيلي (بمساندة أمريكية) للبنان عام ١٩٨٢، المائتا ألف عراقي الذين لقوا حتفهم أثناء عملية «عاصفة الصحراء»، آلاف الفلسطينيين الذين قضوا نحبهم في الكفاح ضد الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية. والملايين الذين ماتوا في يوغسلافيا والصومال وهايتي وشيلي ونيكاراغوا والسلفادور وبنما وجمهورية الدومينيك، الذين اغتيلوا على يد الإرهابيين والطغاة والسفاحين الذين دعمتهم الحكومة الأمريكية ودربتهم وموّلتهم وأمدتهم بالأسلحة. وليست هذه القائمة كاملة بحال من الأحوال.

بالنسبة إلى بلد اشترك في حروب وصراعات كثيرة كأمريكا، فإنه كان محظوظاً للغاية. واعتداءات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول هي الهجوم الثاني داخل أمريكا خلال قرن من الزمان، العدوان الأول كان بيرل هاربر، وفي سبيل الثأر قطعت أمريكا طرقا عديدة، انتهت في هيروشيما ونغازاكي. واليوم ينتظر العالم بأنفاس محبوسة الأهوال القادمة.

مؤخرا سمعت من يقول: لو لم يكن أسامة بن لادن موجودا لاخترعه الأمريكان. بالفعل، لقد اخترعوه إلى حد ما. إنه واحد من أولئك المجاهدين الذين ذهبوا عام ١٩٧٩ إلى أفغانستان عندما بدأ جهاز سي أي إيه في تنفيذ عملياته هناك. خلق هذا الجهاز أسامة بن لادن، والآن يبحث عنه الـ إف بي أي. خلال أسبوعين ارتقى ابن لادن من رتبة المتهم، إلى المتهم الرئيسي، والآن – وبالرغم من نقص الأدلة الحقيقية – تزين صوره القوائم التي تطلبه «حيا أو ميتا». وبعد كل ما هو معروف عن مكان إقامته لا يستبعد على الإطلاق ألا يكون قد خطط شخصيا للاعتداءات، وأنه لم يكن مشتركا في التنفيذ أيضا – ابن لادن هو الرأس المدبر، رئيس مجلس إدارة الشركة. لقد كان رد فعل طالبان على المطلب الأمريكي لتسليم ابن لادن مذهلا في واقعيته: قدموا لنا الأدلة، ونحن نسلمه لكم. ولكن الرئيس بوش أعلن أنه لا تفاوض حول المطالب الأمريكية. (وبمناسبة حديثنا عن تسليم رؤساء مجالس الشركات: هل يُسمح للهند أيضا أن تطالب بتسليم وارين أندرسون؟ كان الرجل باعتباره رئيسا لشركة «يونيون كاربايد» مسؤولا عن كارثة بوبال التي أودت بحياة ١٦٠٠٠ إنسان، ولدينا الأدلة الدامغة في ملفات تحوي كل الوثائق اللازمة: فهل تسلمونا إياه من فضلكم؟)

ولكن من هو أسامة بن لادن في الحقيقة؟ أو فلنقل بالأحرى: ما هو أسامة بن لادن؟ إنه «السر العائلي» لأمريكا: هو القرين المظلم للرئيس الأمريكي. التوأم المتوحش لكل ما ينبغي أن يكون جميلا ومتحضرا. إنه مخلوق من ضلع عالم دمرته السياسة الخارجية الأمريكية – بما تنتهجه من دبلوماسية الأساطيل المسلحة، وبما تملكه من ترسانة ذرية، بسياستها غير العابئة الرامية إلى سيادة مطلقة، باحتقارها البارد لحياة كل من هو ليس أمريكيا، بتدخلها العسكري البربري في البلدان الأخرى، بدعمها للأنظمة القمعية المستبدة، بتطلعاتها الاقتصادية التي تلتهم بلا رحمة اقتصاديات الدول الفقيرة وكأنها سرب جراد نهم؛ بشركاتها الناهبة المتعددة الجنسيات التي تملك الهواء الذي نتنفسه، والأرض التي عليها نقف، والمياه التي نشربها، والأفكار التي تدور في رؤوسنا.

والآن، وقد أُفشي السر العائلي، فإن التوأم يندمجان تدريجيا في شخص واحد، بل يمكن استبدال الواحد منهما بالآخر. لقد دارت بنادقهما وقنابلهما ونقودهما ومخدراتهما لفترة من الزمن في دائرة واحدة: (صواريخ ستينغر التي سترحب بالمروحيات الأمريكية كانت هدية من جهاز سي أي إيه. الهيروين الذي يستخدمه مدمنو المخدرات الأمريكيين زُرع في أفغانستان. قدمت حكومة بوش مؤخرا ٤٣ مليون دولار إلى أفغانستان دعما «للحرب على المخدرات»). بمرور الوقت يتزايد الشبه بين لغة الاثنين. كلٌ يصف الآخر بأنه «رأس الأفعي». كلاهما يستند في كلامه على الله وعلى الخير والشر. كل منهما متورط في جرائم سياسية مشينة. كلاهما مسلح بأخطر الأسلحة: الأول بالترسانة الذرية الداعرة القوة، والثاني بقوة اليائس القانط الذي لا يتورع عن التدمير والإفناء. الهراوة إذا مقابل البلطة، والفأس مقابل المعول. لكن المهم ألا ننسى أن أحدهما ليس بديلا مقبولا للآخر.

الإنذار الذي وجهه الرئيس بوش إلى شعوب العالم – «إمّا أن تكونوا معنا أو مع الإرهابيين» – يشي بعجرفة لا تصدق؛ إنه اختيار لا يريد شعب أن يقوم به، ولا ينبغي لشعب أن يقوم به.

ولدت أرونداتي روي عام ١٩٦٠، وهي تنحدر من أصول سورية مسيحية. وتعيش اليوم في نيودلهي، وتعد من أبرز كاتبات الهند. وقد حققت بروايتها إله الأشياء الصغيرة شهرة عالمية. روي معروفة في وطنها بنشاطها السياسي أيضا، وخاصة في مجال حماية البيئة.

ترجمة: سمير جريس

غوستاف سايبت Gustav Seibt

حول ماذا يجري صراع الحضارات ؟

يقارن الصحافي غوستاف سايبت الأصولية الإسلامية مع الحركات الفاشية في أوربا ويعتقد أنه لا محيد عن صراع الحضارات إذا رفضت غالبية المسلمين القيم الغربية، وأن حقوق المرأة سوف تحسم فيما إذا كانت القيم الغربية والإسلام يأتلفان أم لا.

إن التمني لم ينفع شيئاً، سيكون من الضروري نشوء صراع حضارات، وردود الفعل التي تتضمن أحياناً نصف تأسف وأحياناً تفهّماً صادقاً ومرّة ارتياحاً خفيّاً، والتي وصلت الى أمريكا والغرب من البلدان الإسلامية ومن الهند منذ العمليات الإرهابية التي وقعت يوم ١١ أيلول/سبتمبر، ترغم على إيضاح المواقف. ويحسن نصح الغرب بأن يأخذ الإسلامية مأخذ الجد بصفتها ظاهرة أزمات؛ لكن يتعين عليه أيضا ألا ينسى أنها لا تقدم حلاً واقعياً للمعضلات التي تعبر عنها. إن أوربا خاصة تستطيع أن تتحدث هنا من خلال تجربتها الخاصة بها. فالفاشية أيضا كانت مثل ظاهرة الأزمات هذه، دون أن تنتج اقتراحاً معقولاً لحل المشكلات رغم قوة هذه الظاهرة.

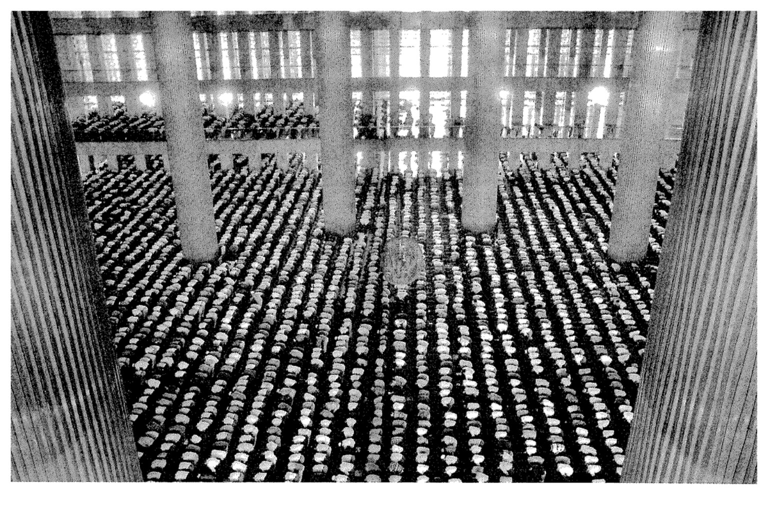
والتوازيات في الوضع الوجداني خانقة، فعندما تعتبر الكاتبة الهندية أروندهاتي روي الرئيس الأمريكي مناضلا في سبيل «حضارة الميكي ماوس» و «ظلا» لابن لادن، فإنها تذكر بأولئك الكتّاب الألمان الذين أرادوا في عام ١٩٣٣ إفهام زملائهم من فرنسا وبريطانيا بأن الاعتداءات النازية إنما كانت نتيجة لمعاهدة فرساي. وحتى لو أن شيئا من هذا كان صحيحا، مثلما هو الحال في تشخيصات روي؛ ورغم ذلك فإن الطريق إلى ظلم جديد أكبر بكثير بدأ من هنا.

وغالبا ما يتحدث المرء عن «إذلال» العالم الإسلامي من قبل الغرب. وفعلا يتحدث كثير من المسلمين كما كان الألمان يتحدثون بعد معاهدة فرساي مستاءين، متعصبين، مهددين بحريق عالمي. لكن المرء يتساءل الآن، ما هي فرساي المسلمين التي تمنعهم من اقامة أنظمة اجتماعية مدنية تنعم بالرخاء؟ ورغم كل الإشاعات المغايرة، فان المشكلات، في معظمها، انما تكمن في داخل دول الشرقين الأدنى والأوسط التي تحكم على نحو سيئ، الأمر الذي توضحه المقارنة مع إسرائيل ودول الشرق الأقصى أو النجاح الاقتصادي الجدير بالذكر الذي حققه الأتراك في أوربا. وكون المسلمين غير متطرفين في غالبيتهم فذلك أمر لا يهدئ الروع بالضرورة. إن عالم الاجتماع هانس كريستوف بوخ أشار الى أن الألمان في الرايخ الثالث لم يكونوا أيضا متعصبين في معظمهم، لكن الأمر يكفي عندما يقوم محيط متفهم بتحمل نواة متعصبة.

من الظواهر المرضية الإسلاموية المقاتلة هي عدم القدرة على تحمل النقد، فسخرية كاتب روائي تكفي لتعبئة فرق كوماندوز لاغتياله. وفي عام ١٩٥٥ صاغ كلود ليفي شتراوس في كتابه «المنطقة المدارية الحزينة» وصفاً لاذعا للإسلام جاء فيه: «إذا كان من شأن مركز شرطة أن يكون دينياً، فإن من شأن الإسلام أن يقدم له نفسه بصفته ديناً مثالياً: مراعاة دقيقة للشعائر (الصلاة خمس مرات في اليوم، وكل صلاة تتطلب السجود خمسين مرة)؛ تفتيش ورعاية صحية (طقس الوضوء)؛ مشاعة جنسية ذكوريّة، وذلك في الحياة الفكرية كما في الأعمال العضوية؛ لا نساء». وإنه لسؤال معلق في ما إذا كان من الممكن اليوم الجهر بمثل هذا الكلام.

في الحوار بين ممثلي الإسلام والغرب يسود عدم تكافؤ خطير، وأي نقد يوجه إلى دينهم يرفضه المتحدثون المسلمون باعتباره «إهانة» وعدم تسامح وعنصرية. وهم يصرّون على «كرامتهم». وهنا يجري تجاهل أن النقد الغربي إنما يأتي من محيط يجوز فيه قول كل شناعة ممكنة عن المسيحية وعن كل دين آخر. وعندما يسمي ميشيل هولبيبك الإسلام «سخيفا»، فإنه يتحدث بصفته وريثا لحضارة قذفت الكنيسة الكاثوليكية ذات مرة بمثل هذه الأوصاف. لقد كلفت هذه الحرية في أوربا أنهاراً من الدماء، لكنها أتاحت احلال ذلك السلام بين المذاهب، الذي مكّن من إقامة دول دستورية.

إن «قيم» الإسلام والمجتمعات المدنية الغربية لا تقع على المستوى نفسه. والمرء يتحدث عن أمور مختلفة، وهذا ما يجعل الحوار شاقاً جدّاً. والغرب لا يدافع قطّ عن الإهانات المفردة التي توجه لما هو دينيّ، كما أنه لا يدافع عن الحرية الجنسية كهدف بحد ذاته، هذه الحرية التي تصدم المسلمين، إنما يدافع عن فضاء يعيش فيه شتى أشكال الحياة والمعتقدات بلا صراعات. وبعبارة واحدة فإن مغزى هذه الحرية هو: من الأفضل تحمّل التجديف على تحمّل الحرب الدينية. وهذا يشترط أكثر من ترتيبات فنية دستورية وأكثر



من تسامح مشروع: أي أن يتحلّى المواطن الفرد في المجتمعات الغربية بقدرة فريدة من نوعها، تاريخيا، للتعايش مع الآخر المختلف، لا بل مع الشناعة نفسها ومع المتعارض. ويمكن تسمية ذلك: باللامبالاة، لا بل بالبرودة، لكن الحرارة التي جرى تخفيضها تقلل العنف.

إن صراع الحضارات - في الواقع هو صراع في سبيل حضارة بشرية يمكن أن تعيش فيها شتى التقاليد والأعراف إلى جانب بعضها البعض، الذي نجم عن الاعتداءات على أمريكا، يمكن بالأحرى أن يظل غير دموي إذا جرى الحديث عنه بصراحة. إن ممثلي الإسلام المتطرّف يعلنون لنا منذ سنوات وسنوات قائلين إننا: لا نريد أن نعيش مثلكم. والغرب المحرج منذ فترة طويلة لظهوره معياراً، لابد له من اتخاذ موقف أيضاً. فبالإضافة إلى الدفاع عن مصالحه يتعين عليه أن يعلل لماذا يعتبر القانون الإسلامي غير إنساني وهداماً. وهنا لا يمكن للأمر أن يتعلق بـ «قيم» مجردة وحدها، إنما قبل كل شيء، بأشكال محددة للحياة، أي بشيء يمكن مقارنته على نحو مجد. إن الفرق الأكثر وضوحاً وجلاء بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية هو وضع المرأة؛ لأن اضطهادها هو أكثر ما يجعل أشكال الحياة الإسلامية غير مقبولة بالنسبة الى الغرب. والجماهير التي ترفع قبضاتها وتصرخ وتحرق الدمى، تتألف من الرجال. من تربية الحقد الدينية إلى العجز عن تحمل التباين، ومن وعي الذات الجماعي لكثير من الرجال المسلمين إلى الاستعداد للانتحار الديني، فان كل السمات التي تدع الإسلام يبدو اليوم هداما وغير منتج تشير إلى الفصل القسريّ بين الرجال والنساء.

كانت المجتمعات الشمولية ذكوريّة دائما. عندما أراد الفاشيون الإيطاليون أن يقدموا شيئاً مخالفاً لخبب المواكب الكاثوليكية، دعوا الرجال والنساء يسيرون في صفوف منفصلة. وكان القرن العشرون قرن الجماهير؛ ففي النصف الأول منه كانت هذه الجماهير منظمة ومتماسكة وعدوانية؛ من هنا كانت مرتّبة ومصنّفة إلى جنسين. أمّا في النصف الثاني فقد أصبحت الجماهير متحركة ومتعددة الأطياف وسلمية ومختلطة الجنسين، مثلما هو الحال في وودستوك أو في مظاهرة الحب في برلين، وبعد ذلك فقد أصبحت الجماهير صورة للديموقراطية.

إن المجتمعات الديموقراطية التي تضطهد النساء لا يمكن أن تستمر طويلاً، وهنا ثمة عرض قائم موجه الى خمسين بالمئة من السكان المسلمين في هذا العالم. إن حكم رجال الدين هو حكم رهيب، وذلك لأنه حكم رجال متقدمين في السن يملأهم الحقد والخوف والغرب لا يملك «قيما» يمكنها أن تنافس قيمهم في السطوة والوضوح، لكن يجوز له أن يكون على ثقة بأنه يملك الحياة الأفضل.

كان غوستاف سايت رئيس قسم الأدب في صحيفة «فرانكفورتر ألغماينه»، والآن يكتب لصحيفة «زود دويتشه تسايتونغ».

ترجمة: أمين الشامي

نويد كرماني Navid Kermani

بلاغة بن لادن

بعد توجه بن لادن إلى الرأي العام العالمي من خلال شريط فيديو بثته قناة الجزيرة، يحلل المستشرق نويد كرماني محاولات بن لادن لجذب المسلمين إلى صفه. ويرى كرماني بأنّ الأمر سيكون محزناً إذا صدقه المسلمون. كرماني ينتقد من جهة أخرى كلام جورج بوش.

أسامة بن لادن يتحدث بلغة عربية جميلة، لا تصدر عنه تعابير عامية، كالجيل الحالي من القادة العرب، ولا يخطئ في تشكيل الكلمات كما يحدث مع المثقفين أنفسهم. إنه يختار مصطلحات قديمة ألف المثقفون العرب سماعها وقراءتها من الأدب الديني والشعر الكلاسيكي متجنباً أي تجديد لغوي فيها.

وقد لوحظ أثناء إلقائه لكلمته في شريط الفيديو افتقاره إلى التعليم الفقهي الجيد الذي يعطي مع تلاوة القرآن المران على اللفظ العربي الجميل. كان من الممكن بتوفر هذه العناصر إبراز التنوع اللفظي للحروف العربية الساكنة وكذلك الإطالة في حروف المد بدقة أكثر. وإظهاره للتواضع في التعبير جاء ليخدم هدفه في الوصول إلى قلوب المؤمنين والتأثير فيهم. وإذا كان على لباس بن لادن ومكان التصوير أن يخلقا كاريزما (هالة) نبوية للرجل فإنّه أراد بزهده اللغوي هذا الإشارة إلى الضعف العسكري والسياسي للمسلمين الأوائل، هذا الضعف الذي كانوا يعوضونه بنقاء إيمانهم.

وبغياب التشديد على مخارج الحروف، تعبر بلاغته عن الروح البوريتانية - الوهابية التي يقال إنها استلهمت من روح الرسول. هذا التردد تجاه الجمال يجد شبيهاً له لدى الطائفة البروتستانتية، في حين أنّ التقليد الإسلامي المؤسس على قوة التعبير القرآني، يعلّم ويؤكد على جمالية الكلمات. ورثة هذا التقليد هم الشعراء الإباحيون المعاصرون كأدونيس ومحمود درويش، الذين يلقون قصائدهم وكأنها مقطوعات موسيقية. الورثة هم أيضاً الزعماء السياسيون والدينيون في العالم العربي المعاصر الذين يُغرقون تصريحاتهم المبتذلة في زخارف كلامية ويلقونها بلهجة منبرية. هؤلاء بالتحديد هم من يريد بن لادن أن يتميز عنهم، حين يركز على الهدوء في الإلقاء.

من يتحدث إلى من؟

وحين يستشهد أسامة بن لادن بالقرآن تبدو القطيعة مع التقليد المسيطر أكثر جلاء: فبينما يرفع الخطباء الآخرون أصواتهم ويخفضونها بطريقة غريبة أثناء قراءة الوحي، يتابع أسامة بن لادن بالوتيرة نفسها التي كان قد بدأ بها قبل الاستشهاد وكأنه يسعى إلى إقناع الآخرين بعقلانية مضمون رسالته وليس بطريقة أدائه. وفي الوقت الذي يصنع الغرب من بن لادن رمزاً للشر، ينهض تجنبه للبلاغة في هذه الحالة كأذكى وسيلة بلاغية - من يعرف إلى أي حد أنه لا يلاحظ هذا الأمر. لقد نجح بن لادن في أن يصبح نجماً في العالم الإسلامي من خلال خطاب استغرق سبع دقائق، تماماً كجورج بوش في الولايات المتحدة الأمريكية حين تحول في أيام قلائل من كابوي مرتبك يُطلق الكلمات إلى رجل دولة عالمي حازم.

اللامساواة في العتاد العسكري جلية في هذا الصراع - هنا بعض سكاكين الجيب لإذلال القوة العظمى في العالم، وهناك الآلة العسكرية الأضخم في المعمورة لقصف واحد من أفقر بلدان العالم - هذه اللامساواة تظهر في وسائل الدعاية أيضاً: فهنا جهاز فيديو، وهناك جيش من المستشارين ومحطات التلفزيون ووكالات الأنباء. لكن كل خصم يتوجه إلى الرأي العام في ساحته، أي الرأي العام الإسلامي أو الغربي، حتى عندما يخاطب أحدهما شكلياً الرأي العام لدى الطرف الآخر. وتهديد بن لادن لأمريكا يجعل منه - في نظره - نموذجاً يحتذي به هؤلاء الذين يشعرون انهم مهددون من قبل القوة العظمى الوحيدة في العالم.

مَدْح جورج دبليو بوش الجديد للإسلام والذي يبدو أنه لا يمل من تكراره هذه الأيام، ربما يكسبه تأييد أوروبا المتذبذبة وعلى أبعد تقدير رضى المسلمين الأمريكيين. ونظراً للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، ينظر حتى أشد منتقدي الإسلام السياسي في العالم الإسلامي، إلى هذا المدح بسخرية مرة تماماً كنظرتهم إلى المعونات الغذائية التي تقذفها الطائرات الأمريكية إلى جانب القنابل في أفغانستان.

لو سعت الإدارة الأمريكية لكسب الرأي العام في البلاد الإسلامية، لحاولت الحصول على توكيل أقوى من الأمم المتحدة، وقدمت أدلتها ضد المتورطين في هجمات نيويورك وواشنطن بطريقة يمكن تفهمها والدفاع عنها. كما كان عليها أن توجه استراتيجيتها فعلاً إلى مكافحة

الإرهاب، بدلاً من أن تستقر الآن عسكرياً في آسيا الوسطى وتستخدم الأسلحة الثقيلة هناك كدبابات ب ٥٢ التي من الواضح أنها ليست الأسلحة المناسبة لكشف وتدمير جحور الإرهابيين.

حتى لحظة توجيهه لكلمته كان أسامة بن لادن شبحاً في نظر العالم الإسلامي أكثر منه شخصية واقعية. صحيح أنّ سيرته كانت متداولة في بعض البلدان، لكنّ غالبية المسلمين عرفته من خلال مقاطع من مقابلاته التي أعادت بثها محطات الـ CNN والـ BBC وقناة الجزيرة الفضائية القطرية. وقبل أن تقدمه الـ CIA قبل سنوات كزعيم للإرهابيين) بعد وقت قصير من منحه مرافقة وحماية للمرة الأخيرة) كان عملياً غير معروف. فلم ينشر كتباً وما طور مذهباً، حتى أنه لم يوزع خطباً دينية. كان عدواً للولايات المتحدة الأمريكية فحسب، وهذا ما أهلّه ليغدو رمزاً للمتطرفين. نجاح زعيم ثلاثة آلاف متطرف، وربما خمسة آلاف في أن يصبح العدو الرئيسي للعالم الغربي كله، وأن يغدو في أعين الإعلام العالمي نظيراً للرئيس الأمريكي، وليس مجرماً أو قاتلاً، كما هي حقيقته، فاق كل ما كان أذكى إرهابي يحلم به.

فجأة يتحدث هذا الشبح إلى الناس في العالم الإسلامي ويؤثر فيهم، لكن ليس كعفريت هذه المرة كما جرى تقديمه. صحيح أنّ كلماته تترك انطباعاً عن رغبة متعصبة للقتال، لكنه لا يتحدث قط كشخص متعصب، بل بصوت خفيض، محترس وبلغة عربية بسيطة ومقنعة. والكثير مما يقوله يتفق مع ما يفكر به السواد الأعظم من الناس في العالم الإسلامي، فقط القليل من الساسة يجرؤ على الكلام بهذا الوضوح: حول معاناة الفلسطينيين، دور السياسة الخارجية الأمريكية، المعايير المزدوجة والشعور اليومي بالمهانة والذل تجاه الغرب.

هكذا تبدو الصورة أحادية الجانب، لكنها ليست أحادية أكثر من الصورة التي يقوم بترويجها في ألمانيا الخبراء في الشأن الإسلامي والكتب الأكثر مبيعاً بالإضافة إلى الأفلام التلفزيونية السطحية عن العالم الإسلامي. ولكي يكسب أسامة بن لادن أغلبية المسلمين إلى جانبه، كان عليه أن ينتظر إلى أن قامت الولايات المتحدة الأمريكية بقصف أفغانستان، ليوجه كلمته الأولى للمسلمين، وإلا فلن يكون للتحدث إلى شرائح واسعة من الشعب أي معنى دون أن يزيل عن نفسه دور المعتدي. وككل أمراء الحرب كان عليه أن يقدم نفسه كضحية، ليبرر هجماته وبالتالي ليضفي شرعية على قتل الناس الأبرياء. لذلك لم يعترف بمسؤوليته المباشرة عن هجمات نيويورك وواشنطن بل حياها كعقوبة عادلة، رغم أنه كان من الممكن أن يتباهى بها انسجاماً مع منطق إرهابي صرف.

الآن، وبعد القصف الذي توقعه بن لادن إذا لم يكن بالأصل قد تمناه، فإن بمقدوره أن يسوق كفاحه كدفاع دون أن يضحك عليه كل الأطراف. وبإمكانه أن يسمي الأمريكيين إرهابيين ويقدم الشعب الأفغاني الذي يتعرض للقصف كشاهد ملكي ضد الولايات المتحدة، لينشد تضامن أخوته في الإيمان. ليس من الضروري أن نذكر بكلمة بوش عن «الحملة الصليبية» أو

بإعلان برلسكوني عن الاستيلاء على العالم الإسلامي، لندلل على أنّ ميكانيكية الأدلة في الغرب معروفة. ومدح الرئيس الأمريكي في خطابه الأخير استعداد تلميذة من الصف الرابع للتضحية بأبيها في هذه الحرب، يذكرنا بما يصدر عن عائلات الشهداء في العالم الإسلامي.
لن يقنع أسامة بن لادن غالبية المسلمين. فمعظم الناس في العالم الإسلامي انتبهوا إلى افتعاله البساطة، وبالذات رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية محمد خاتمي الذي فسره بوضوح يشكر عليه. أسامة بن لادن متهم بقتل الآلاف وتفسيره للإسلام يتناقض مع كل المذاهب المعترف بها. لكنّ أولئك الذين يميلون إلى تأييده، بعد هذه الكلمة، وفق ما تم رصده من خلال الاتصالات الهاتفية والتعليقات، ليسوا ثلة من المتطرفين، بل شرائح واسعة في العالم العربي وفي أندونيسيا وباكستان. توجهات الرأي العام في هذه البلدان لا تتغير بين ليلة وضحاها، لكنها تميل بشكل واضح لصالح هذا الإرهابي. وحتى قبل توجيهه لكلمته لم يكن بالمستطاع التوقع أنّ غالبية العرب أو الباكستانيين تقف مثل قادتها إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية بدون تحفظات، لكن يبدو أنّ حسابات الإرهابيين لم تكن في محلها أيضاً، فتحريضهم لم يدفع المسلمين إلى التمرد على قادتهم.
ثمة خطر ملموس منذ بث شريط الفيديو من قناة الجزيرة والذي وجه فيه بن لادن أول كلمة للمسلمين، وهو أن تميل أقلية سياسية مهمة في العالم الإسلامي إلى استخلاص استنتاج خطير من بلاغة بوش المانوية التي تبشر بأنه لا حياد في هذا القتال، بمعنى أن تصدق كلامه. إنه عين الاستنتاج الذي يقترحه عليهم بن لادن عندما يقول: إنّ هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين: «فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط كفر أعاذنا الله وإياكم منه.»

صحافي ومستشرق من أصل إيراني نشر دراسة عن جمالية القرآن، يدير حالياً ورشة عمل حول الحداثة والإسلام في معهد العلوم في برلين.

ترجمة: أحمد حسو

بسام طيبي Bassam Tibi

أسامة بن لادن ليس وحيدا

يرى عالم السياسة بسام طيبي، الذي هو من أصل سوري، أن كراهية كثير من المسلمين للغرب ذات جذور أكثر عمقا من السياسة الأمريكية. هذه الكراهية تعود إلى العصر الوسيط، عندما منع الغرب الإمبريالية الإسلامية من الانتشار في الغرب. ينصح طيبي الغرب بأن لا يقوم في حواره مع الإسلام باتهام الذات فحسب.

تحققت المخابرات الأمريكية من هوية جميع الإرهابيين البالغ عددهم تسعة عشر إرهابيا، والذين تخلوا عن حياتهم كي يعلنوا الحرب، رمزياً، على الحضارة الغربية: كانوا جميعهم إسلاميين عرباً، ويحسبون على جماعة بن لادن، هذه الجماعة التي نشأت نتيجة لحرب أفغانستان. وفي الغرب لا يفهم الناس لماذا يضمر أمثال هؤلاء المسلمين مثل هذه الكراهية العميقة إزاء الغرب ليصبحوا قادرين على القيام بمثل هذا العمل الوحشي وعلى التضحية بالنفس.
إنه لمن الخطأ تفسير هذا الفعل البربري نفسانياً واعتباره مسألة تعود إلى بن لادن وحده. في العالم الإسلامي تسود صورة للغرب بصفته قوة أعاقت الحضارة الإسلامية من تحقيق مشروعها الجهادي لفتح العالم. في القرن السابع بدأ المسلمون مشروعهم الأول لغزو العالم مع مطلب العولمة. لكن نشوء الحضارة الغربية بين عام ١٥٠٠ وعام ١٨٠٠ ـ حدث هذا بموازاة عملية التصنيع ـ منع المسلمون من مواصلة فتوحاتهم. ومن ومنظور إسلامي نشأ الغرب على حساب المشروع الإسلامي لفتح العالم. في الحس التاريخي للمسلمين يجري هذا التأريخ مع الحملات الصليبية، وعلى هذا النحو يتم ترتيب كل عمل من أعمال الغرب ضمن هذا الإطار. وهكذا أيضاً يفهم الإسلاميون التاريخ. ومن هنا فإن بن لادن ليس أول مسلم يريد أن يحرر عالم الإسلام من «الصليبيين».
إن الحقد على الغرب بصفته حضارة الصليبيين يطبع الصورة الإسلامية عن العالم حتى اليوم، ويشكل الخلفية التي قام عليها الفعل الذي هز العالم يوم ١١

أيلول\سبتمبر. لقد دمر إرهابيون رموزاً لهوية أمريكا من خلال عمل من أعمال العنف ضد الحضارة الغربية، واغتالوا آلافا من الناس الأبرياء. ما العمل؟

لقد عشت كل شيء من زاوية العاصمة الأوزبيكية طشقند بموازاة منظور سي أن أن و بي بي سي ، اللتين كنت أتابع أخبارهما. وقد أجرت معي محطة إذاعة ألمانية حديثاً هاتفياً في طشقند عن الأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان الاتصال الهاتفي قائما قبل الحديث الحقيقي، بحيث أنني تمكنت من سماع قسم كبير من خطبة قسيسة ألمانية. وقد هزني ما سمعته.

وبصفتي مسلما متنورا، فإنني لا أستطيع أن أرى الأوروبيين / الأمريكيين صليبيين، كما أنني لا أستطيع السكوت عن الحقائق التي تطبع الصورة الإسلامية عن الغرب.

إن إعلان الحرب على الحضارة الغربية لم يكن عملاً من أعمال إسلاميين مصابين بالجنون، وإنما يعبر عن صورة للغرب مفعمة بالحقد. إن إحلال سلام وإقامة حوار بين الحضارات لا يمكن أن يتما على أرضية اتهام الذات من قبل طرف معيّن، وإلقاء الذنب من طرف آخر. فهناك مسلمون كثيرون اعتادوا على نموذج من الحوار المسيحي



فالقسيسة ذكّرت بالحملات الصليبية والاستعمار وقتل اليهود الألمان، ووصلت إلى استنتاج يدل على وجود حكم مسبق لديها. فحسب رأيها لا يملك الأوروبيون حقا بأن يتحدثوا عن عنف الآخرين ويوجهوا لهم نقدا؛ لا بل إنها تتابع وتحذّر الأمريكيين. إذا هم هيّجوا الإرهاب على هذا النحو، فانهم يساهمون في انتشار صورة الإسلام عدوّا، ويثيرون العالم الغربي ضدهم.

بصفتي مسلماً يعيش مهاجراً في ألمانيا، فإن أبعد ما يكون عني هو وضع الإسلام ضمن إطار القوى الشيطانية. ومن هنا فإنني أنظر بقلق إلى الأحكام المسبقة القائمة في العالم الغربي إزاء الإسلام، هذه الأحكام التي تزداد أحيانا فتحول الإسلام إلى عدو. لكنني من طرف آخر لا أتجاهل أن «صورة الغرب عدوّا» إنما تنتشر بين المسلمين أيضاً.

- الإسلامي يقوم فيه رجال دين مسيحيون باتهام ذاتي ويقبلون، باسم التسامح وحب الغير، اتهامات الإسلاميين لهم. إن المسلمين يفكرون على نحو مغاير: العينُ بالعين والسنُ بالسن. وهذا كان منطق المجاهدين الذين توجهوا في نيويورك وواشنطن ضد الغرب. بعد هذه الأحداث يتعين أن ننتقل إلى نموذج آخر من الحوار ونتحدث عن صور الذات وصور الآخر وعن اتهام الذات وإلقاء الذنب.

بسام طيبي مولود في سوريا عام ١٩٤٤، وهو أستاذ العلوم السياسية في جامعة غوتنغن. وقد نشر كتبا عديدة عن العالم العربي في حاضره.

ترجمة: أمين الشامي

كورت شيل Kurt Scheel

أمريكا تعلمت الدرس

يحلل كورت شيل في مقالته موقف الولايات المتحدة تجاه الحرب، ويرى أن الأمريكيين لا ينساقون بسهولة إلى خوض المعارك، لأن رجال الجيش مجبرين دائما على إقناع الرأي العام بحتمية الدخول في حرب جديدة. ولابد من محاربة الإرهابيين قبل أن يزداد خطرهم، وعلى الغرب - وفق رأي شيل - أن يثبت أنه على استعداد للتضحية دفاعا عن قيمه.

ربما تكون هذه هي الفرصة لكي نقترب اقترابا حثيثا من النظام العالمي الجديد، من «عالم يعيش فيه الإنسان بحرية وكرامة في كل الدول». حتى الآن كان الحديث حول ذلك مجرد وعد – بل كان ذلك بالنسبة إلى كثيرين تهديدا، استثار ردودا هستيرية أو تهكمية. قبل عشر سنوات تحدث الرئيس جورج بوش الأب عن النظام العالمي الجديد New World Order، بعد أن شكل بذكاء التحالف الكبير ضد مجرم الحرب والسفاح صدام حسين. لقد خاض بوش حرب الخليج ضد ديكتاتور العراق بنجاح، لكنه تردد وخاف من العواقب الدموية مضيعا النصر من بين يديه: لم يحاصر بوش بغداد، ولم يخلص العالم من صدام حسين، وهو ما كان سيكلف الأمريكيين ربما عدة آلاف من القتلى، بدلا من ذلك رضخ إلى إلحاح رئيس أركانه الجنرال كولن باول، وأمر بسحب القوات البرية.

ومنذ صدمة فيتنام وقادة الجيش الأمريكي يعيشون في كابوس يجعلهم يتجنبون القتال البري المحفوف بالمخاطر، حتى إذا كان لا مهرب منه. وهو أمر جديد في تاريخ الحروب، أن يريد قادة الجيش تجنب الحرب، وأن يكون هدفهم الرئيسي تجنب وقوع خسارة في صفوفهم بأي ثمن – وهو تقدم عظيم إذا ما تذكرنا اللامبالاة التي كان يتعامل بها جنرالات أوربا في القرن العشرين مع جنودهم الذين قضوا نحبهم في كثير من الأحيان بلا معنى ولا هدف. لكن كل ذلك لا يغير من أن خوف الأمريكيين من ورود جثث جنودهم في صناديق قد أنهى الحرب ضد صدام حسين عام ١٩٩١ بنصف هزيمة، وهو ما منح الديكتاتور فرصة مواصلة إرهاب شعبه، ودعم الإرهاب الدولي قولا وفعلا؛ إلى أن تجرأ على التفكير في إنتاج أسلحة الدمار الشامل. ربما لو كان صدام سقط فعلا، لأثر ذلك على العقلاء بين الإسلاميين العرب، وقلل من احتقارهم لطريقة الحياة الأمريكية وأخلاق الغرب. قد يتغلب الأمريكيون الآن على صدمة فيتنام، وهو الأمر الذي سيكون نعمة لأمريكا والعالم. لم تهزم القوات البحرية الأمريكية على أرض فيتنام، بل في الولايات المتحدة نفسها، وذلك عندما توقف الشعب ووسائل الإعلام والمثقفون وجزء كبير من الساسة عن دعم الحرب. لا ينبغي أن نأسف لذلك الآن بعد أن تبين أن الولايات المتحدة، وبالرغم من اللغة الخطابية الحربية، ليست قوة حربية في الأساس، وبعد أن تبين أنها لا تستطيع خوض حرب ينظر إليها غالبية الشعب الأمريكي على أنها غير عادلة. اتضح بجلاء أن الولايات المتحدة كانت تتمتع في السابق، وتتمتع الآن، بنظام ديمقراطي، وأن الرأي العام الأمريكي لا يهدأ إلا بعد أن يكون قد تأكد من هدف وفائدة إرسال قوات أمريكية إلى حرب ما. وهكذا فإن سياسة الانعزال – وهي التهمة التي كان الأوربيون يوجهونها إلى الأمريكيين سرا – تعد ضمانا بأن الإمبراطورية الأمريكية لن تتخطى حدود قارتها. إذا لم يكن النصر مؤكدا، فعلى المرء أن ينسحب، حتى وإن حدث ذلك بطريقة مهينة كما في عهد الرئيس ريغان، عندما أمر عام ١٩٨٣ بانسحاب مشاة البحرية من بيروت بعد الاعتداء عليها، بدلا من مواصلة القتال. آنذاك نظر عديد من المعلقين في الغرب – ليس فقط من المتعاطفين مع العالم الثالث وحركات التحرر فيها – إلى الأمر باعتباره علامة على الجبن الأمريكي المعتاد في تلك المواقف. لكن ذلك كان سوء فهم، نبع من اختلاف التقاليد العسكرية في أمريكا عنها في أوربا التي تحتقر الجماهير الرعاع. إن الحذر الذي يتعامل به المرء مع حياة جنوده ليس له أدنى علاقة بالجبن، بل هو مزيج من المادية والتكبر، وهو نوع من السياسة الواقعية الأمريكية التي تشبه ربما سياسة بسمارك. وتحت دوي المدافع يتساءل المرء: هل يستحق الأمر خوض حرب؟ – إذا لم يكن ذلك ، انسحب المرء. كانت هذه هي استراتيجية أمريكا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ولكن ماذا يفعل

المرء إذا لم يستطع الانسحاب؟ إذا كانت الصواريخ في بيت الجار، كما حدث في كوبا؟ أو إذا اشتعلت النار في بيتك: كيف ينسحب أهل نيويورك من مدينتهم، وإلى أين؟ إن الإرهابيين الذين اعتدوا على مركز التجارة العالمي والبنتاغون ارتكبوا أيضا خطأ فادحا. هم ربما ليسوا أغبياء، ولكن جهلة. بمهاجمتهم الولايات المتحدة على أرضها تسبب الإرهابيون في جعل السياسة الأمريكية – التي يحتقرونها ويشعرون تجاهها بالتفوق – تتخلى عن ضبط النفس. كان على الإرهابيين أن يعرفوا – لولا عماهم – أن نجاح اعتداءاتهم سيؤدي إلى إفاقة الولايات المتحدة وحلفائها من السلبية التي وقع الغرب في براثنها بعد انهيار الاشتراكية. ربما تكون الآن آخر فرصة للغرب حتى يُظهر لنفسه وللعالم القيم التي يتبناها ومدى استعداده للدفاع عنها. إنّ على الغرب أن يفعل ذلك باستخدام كل الوسائل والأسلحة التقليدية – أي دون اللجوء إلى التهديد النووي. ليس معنى هذا أن الإرهاب سوف يُقتلع تماما من جذوره وإلى أبد الآبدين. فمن السذاجة أن نعتقد ذلك. حقا: إنما على المدى البعيد لا يمكن مكافحة الإرهاب إلا بالوسائل السياسية. ولذلك، سيكون ليس فقط من الغباء، بل من الجرائم الجسيمة إذا لم نمسك بالجناة ومساعديهم ونقدمهم إلى المحاكمة. الخطوة التالية لهذا الإرهاب – الذي لم يقدم مطالب بل انحصر هدفه في القتل والدمار والإهانة فحسب – هي استخدام أسلحة الدمار الشامل. أو على الأقل التهديد باستخدام القنبلة الذرية: لا تدعموا إسرائيل بعد الآن، وإلا ستُدمر لوس أنجلس... لن تقبل الولايات المتحدة ولا أي دولة أخرى بمثل هذه الابتزازات، لأن هذا معناه بالفعل نهاية عالمنا. لهذا ينبغي على العالم المتحضر أن تتوحد قواه الآن قبل أن تصل القنابل الذرية وأسلحة الدمار الشامل الأخرى إلى أيدي الإرهابيين؛ لابد للعالم أن يوضح بجلاء للمارقين وللدول المارقة خطورة اللعبة التي يلعبونها.

وليس من المؤكد أن تستطيع الولايات المتحدة سريعا الإمساك بالجناة ومساعديهم. وحتى إذا استطاعت فلا يستبعد أن يقوم إرهابيون آخرون بتنفيذ اعتداءات مشابهة أو هجمات أكثر دموية. هل من المستبعد أن تصل قنبلة ذرية إلى أيدي إرهابيين إسلاميين (باكستان تمتلك هذا السلاح بالفعل). يكفي عدد من الجنرالات المتعصبين المتآمرين الذين يأمرون بنقل مثل هذه القنبلة على شاحنة تحت أعين رادارات الدفاع الجوي، ثم تفجيرها – في شيكاغو. إذا كان الموقف هكذا فإنه من الخطل أن نجلس في انتظار وقوع هذا الإرهاب النهائي.

الآن هو التوقيت الصحيح للتعامل مع الإرهاب بكل حزم وحسم، حتى نصيبه في مقتل، ونردع المتعاطفين معه. وأيضا لكي نوضح أن العالم لا يقبل مثل هذه الجرائم، وأن الولايات المتحدة وحلفاءها ليسوا نمورا من ورق؛ وأنهم أيضا على استعداد أن يقدموا تضحيات كبيرة في سبيل الدفاع عن قيمهم – أي الحرية والقانون والديمقراطية –، تماما كما ضحى بشجاعة الانتحاريون العرب بحياتهم كي يقتلوا الآلاف من العزل والأبرياء.

كورت شيل يشرف على إصدار مجلة «ميركور» (Merkur)، وهي مجلة للفكر الأوربي المحافظ.

ترجمة: سمير جريس

يورغن تودنهوفر Jürgen Todenhöfer

الدم الأفغاني أرخص

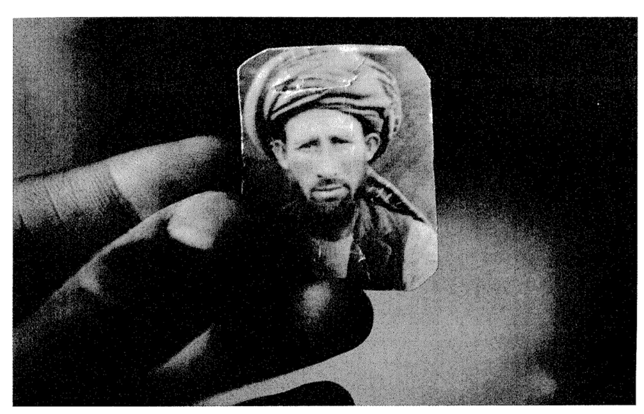
السياسي يورغن تودنهوفر، الذي يعرف أفغانستان من مشاهداته الخاصة، يعارض شيل ويدين السياسة الأمريكية، رغم أن أمريكا قد كسبت الحرب ضد طالبان. ويخشى تودنهوفر من خسارة الحرب ضد الإرهاب، إذا لم ينجح الأمريكيون في كسب قلوب المسلمين؛ فإن أهم هدف هو مكافحة الفقر.

حين كنت في أغسطس ١٩٨٠ أجوب مع المجاهدين أفغانستان المحتلة، كانت بيارق من القماش الأبيض ترفرف نحونا في كل مكان. وكان كل بيرق يرمز إلى موت إنسان. وفي نهاية الحرب عام ١٩٨٩ كان أكثر من مليون بيرق أبيض يرفرف في الهواء. ومازال أمامنا بعض العمل، حتى لا يتكرر مثل هذا، فتغرق أفغانستان في حرب أهلية دموية، وحتى لا تحدث كل بضعة أشهر مذبحة هائلة مثل تلك المذبحة التي وقعت يوم الحادي عشر من أيلول\سبتمبر.

وفي كابول قصف الأمريكيون ناساً غير صالحين للسلطة، أمّا تحالف الشمال فيمثل قبل كل شيء أقليّات أفغانية مثل الطاجيك

والأوزبيك والهزارة والتركمان. وزعيم التحالف نور الدين رباني هو نفسه من الطاجيك. لكن حكومة أفغانية ائتلافية جديدة لن تنجح إلا إذا ترأسها باشتوني ممثلاً لأكبر مجموعة سكانية. وإلا فمن الممكن، مثلما حدث في عام ١٩٩٣ عندما استلم رباني السلطة في كابول، أن تنشب حرب أهلية مرة أخرى أو حتى أن تنقسم البلاد، ومن شأن انقسام البلاد أن يثير اضطرابات في باكستان خاصة. وعلى كل حال لن يكون من السهل على رئيس باكستان مشرّف أن يشرح لشعبه أن بتحالفه مع الولايات المتحدة، إنما قد يصل خصوم باكستان المبينين الى السلطة في كابول.

١١ أيلول\سبتمبر، إنما كانوا جميعهم تقريبا سعوديين.
لقد قصفت أفغانستان لأنها أفقر بلدان المنطقة وأقلها أصدقاء، ولأن الدم الأفغاني هو الدم الأرخص، كما قال ذات مرّة عبد الحق الذي اغتالته طالبان. إن عرّابي الإرهاب الدولي أصحاب الشأن يقيمون في المملكة العربية السعودية وفي دولة الإمارات العربية. لكن أي رئيس أمريكي يخاصم دول النفط الغنية ؟
وبحرب القنابل زرع الأمريكيون كراهية في قلوب العالم الإسلامي. والنجاح العسكري في القتال ضد طالبان هو



وعلى الأفغان أنفسهم، وليس الأمريكيين، إقصاء بن لادن الآن. إذ باعتداءاته الإرهابية الجبانة ضد الأبرياء لم يقم بخيانة كفاح الحرية للأفغان فحسب، إنما قام بخيانة الإسلام أيضاً. إن بن لادن يطمح إلى أن يموت شهيداً. ويريد أن يهزم أمام الدولة العظمى أمريكا، لكنه لا يريد الانهزام أمام مناضلين أفغان. والمرء لا يصبح شهيداً إذا قتله مسلمون أفغان. أمّا إلقاء القبض عليه أو قتله من قبل الدولة الأمريكية العظمى، فإنه كفيل أن يرفعه إلى شخصية أسطورية، أي إلى شخصية روبن هود الإسلاموية؛ وهذا الشرف لا يجوز منحه له.
وبطالبان لم يذبح الأمريكيون الخنزير الصحيح، إنما خسرت طالبان معركة القنابل، حتى لو قامت بحرب عصابات. وهذه الحركة لا تستحق، مثلها مثل بن لادن، أن تذرف دمعة واحدة من أجلها. لقد قامت بقمع الثقافة الأفغانية والشعب الأفغاني، والمرأة الأفغانية على نحو خاص، أسوأ أنواع القمع. لكنها كدولة حامية للإرهاب الإسلاموي لم تقم إلا بدور من الدرجة الثالثة. فما من أفغاني كان من المعتدين الانتحاريين في

انتصار وهمي، فملايين من الشبان المسلمين الأصوليين في العالم سيطوون صدورهم على الانتقام، لأن أغنى دولة في العالم هدّمت أفقر دولة. ويرى بعض المطلعين على شؤون العالم الإسلامي أن مكافحة الإرهاب الإسلاموي، إنما قد خسرت تقريبا بسقوط كابول. علماً أن هذه المكافحة هي أهم بكثير من الحرب ضد طالبان، ثمّ إن قرار مكافحة الإرهاب الإسلاموي بحروب تقليدية وبقنابل على المدن هو أخطر أخطاء سياسة مكافحة الإرهاب. فقبل بضعة أيام صرح وزير الدفاع رامسفلد: «بأن القاعدة ليست سوى واحدة من ستّ وأربعين منظمة إرهابية في العالم، فهناك إذاً عمل كثير». هل يعني هذا أنه بعد الانتهاء من أفغانستان سوف يجري قصف بلدان أخرى ؟ هل يظن الأمريكيون فعلاً أنه يمكن إقامة عالم عادل بواسطة القصف بالقنابل ؟
يتعين على الغرب الآن أن يبين أنه لا يهدف إلى حيازة القوة العسكرية فحسب، إنما يهدف أيضا إلى نشر العدالة والإنسانية. وهذا وحده كفيل بأن لا يلقى الإرهاب الإسلامي إقبالاً بعد الآن. ومن أجل ذلك نحتاج إلى ائتلاف

أخلاقي ضد الإرهاب. لكن هذا لا يمكن أن يوجد إلا إذا توقفنا عن قصف أنفسنا إلى اللاّعدالة. وحالما يتم إقصاء طالبان، يجب وضع مشروع مارشال واسع لأفغانستان.
كما أنه يتعين علينا زيادة معونات التنمية للدول الإسلامية الأخرى، فالحرب على الفقر هي أرخص وأكثر فعالية من الحرب على الفقراء. ويتوجب علينا، بعد أن كاد الوقت يفوت، أن ندخل في حوار رفاقيّ مع العالم الإسلامي، ونكفّ عن العمل وكأنه لا يوجد أي خيار لنموذج الحضارة الأمريكي، هذا النموذج الذي ينتهي، بالنسبة الى معظم الناس، عند كسب المال. ويجب علينا ـ أو يجب على الأمريكيين بالذات ـ الدخول أكثر في نزاع الشرق الأوسط والقيام بدور الوسيط الأمين.

يحق للأفغان أن يعيشوا في بلادهم بلا طالبان، بلا أسامة بن لادن، لكن أيضا بلا قنابلنا. وفي يوم من الأيام يستحق أيضا أطفال هذه البلاد المعذّبة أكثر من أي بلد آخر في العالم جزءاً من السعادة. ولأولادنا أتمنى أن ينشأوا في عالم يخلو من سوط الإرهاب الدولي، وذلك لأن السياسة تنتهج مبدأ بسمارك: «ليس على السياسة أن تثأر لما حدث، إنما عليها أن تعمل على ألا يحدث ثانية».

المؤلف عضو في رئاسة اتحاد شركات الإعلام هوبرت بوردا ميديا. وكان في ثمانينات القرن العشرين المتحدث باسم الحزب الديموقراطي المسيحي لشؤون نزع السلاح وسياسة التنمية.

ترجمة: أمين الشامي

أنّا ماري شمل Annemarie Schimmel

الإسلام ينظم الحياة

تدافع المستشرقة المشهورة أنّا ماري شمل في هذا الحوار عن الإسلام وتتصدى للتشويهات التي ينالها في الغرب، وتدعو إلى إيقاف الأعمال الحربية في شهر رمضان. كما أنها تدافع أيضاً عن الإسلام متصدية لما لحق به من تشويهات من قبل الإرهابيين ومن قبل أسامة بن لادن.

ما هو رأيك في مطلب وقف إطلاق النار أثناء شهر رمضان؟
أنّا ماري شمل: أظن أن من شأن الكثير من المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يستقبلوا مثل هذه الإشارة الرمزية استقبالاً إيجابياً، فالرموز لتكون أحيانا قوية الأثر على نحو خاص. وبالذات في العالم الإسلامي يعرف المرء أكثر مما نعرف نحن هنا في الغرب، مدى أهمية رمز من الرموز. وعلى المرء أن يفعل كل ما في وسعه، على الأقل لتخفيف حدة هذا الوضع المفجع بعض الشيء، فهذه البلاد لم تعرف الاستقرار منذ عشرين عاما.
أين تكمن أهمية رمضان بالنسبة إلى المسلمين المؤمنين ؟
شمل: منذ أيام النبي محمد، أي منذ عام ٦١٠ من تأريخنا، يتخذ شهر رمضان وضعاً خاصاً، فهو يذكّر بالنزول الأول للقرآن. وفي السورة ٩٧ تذكر الليلة التي هي خير من ألف عام. هذا الشهر هو بالنسبة الى المسلمين ذروة العام، إنه الوقت الذي يمكن مقارنته إلى حدّ ما بعيد الميلاد، عندما يظهر المسيح، حسب المعتقد المسيحي، بصفته كلمة الله التي تحولت الى جسد. ففي رمضان نزل القرآن لأول مرة بصفته كلام الله الذي تحوّل إلى كتاب، وهناك قصائد رائعة يرد فيها رمضان ضيفاً كريماً. وإلقاء قنابل في شهر رمضان هو ـ من الناحية العاطفية ـ مثل قنابل في ليلة عيد الميلاد.
ولكن مرارا وتكرارا استمرت عمليات قتالية في شهر رمضان حتى بين أخوة الدين المسلمين أنفسهم، مثلا في حرب الخليج بين إيران والعراق
شمل: هكذا كان الحال مع الأسف، رغم أن الحرب، في حد ذاتها، محظورة أثناء رمضان. وهناك أمثلة أخرى، مثلا حرب الشرق الأوسط في عام ١٩٧٣، التي يطلق عليها ـ حسب البلد ـ حرب تشرين أو حرب رمضان أو حرب الصلح. وهذه الأمثلة هي الآن، مع الأسف، حجج في يد المتشددين. غير أن من شأن وقف إطلاق النار أن يكون في هذا الوضع ذا أهمية سيكولوجية، فهو يمثل عرضاً بمعنى: انظروا من فضلكم، إننا لا نقصد الإسلام إنما الإرهابيين. وبالنسبة إلى الأمريكيين يمكن أن يكون كل هذا صراعاً سياسياً، لكنني لدى زيارتي إلى الرياض لمست مرة أخرى مدى الأهمية الفائقة للدور الديني الذي تقوم به الحرب في مشاعر الناس في العالم الإسلامي.
عندما تفكرين في مستقبل أفغانستان، هل تعتقدين أنه يمكن للملك المقيم في المنفى أن يحصل على دور هام ؟
شمل: إنها أمنية مستعصية في الواقع، ذلك أن لا أحد يعرف

فيما إذا كان من شأن القبائل جميعها أن تخضع له في النهاية. وأنا بصفتي عارفة بشؤون أفغانستان ومحبة لهذا البلد، قمينة أن أكون في غاية الرضا، إذا ما سارت الأمور على ما يرام بالتعاون مع الملك، إذ به سيكون لدينا طرف تربطه بالبلاد علاقة قوية فعلاً، وربما يكون في مقدوره أن يجمع شمل الناس في فترة انتقالية.

سلمان رشدي، الذي قمت بهجوم عنيف عليه بسبب روايته «الآيات الشيطانية»، دعا إلى إبعاد السياسة عن الإسلام. فهل توافقينه على رأيه ؟

شمل: لا أعتقد أنه يمكن تحييد الإسلام بالطريقة التي قد يتصورها رشدي، لأن الإسلام لا يمكن علمنته بأن يجري حذف جزء من سمة المطلق للوحي. كما أنني لا أدري فيما إذا كان من المستحسن فعل ذلك. أعتقد أن الغرب لا يستطيع أبدا أن يفهم هذا الإيمان القويّ، لحدّ هائل، بالله الواحد، وتأثيره في حالات كثيرة.

ما هو رأيك في المطلب القائل إنه يتعين على الدين، كل دين، بما فيه الإسلام، أن ينسحب فقط إلى الشأن الخاص؟

شمل: هذه، فعلاً، هي المعضلة الكبرى؛ وذلك لأن الإسلام ينظّم حياة المؤمنين من الألف إلى الياء. والمسلم لا يتواجد في مجال خاص، مثل المسيحي، بل يحس نفسه جزءاً من العالم الإسلامي الكبير. لا يمكن حصر الإسلام في مسألة خاصة بحتة، كما حققت المسيحية في العصر الحديث. ولا يوجد في الإسلام زعيم روحي، كما هو الحال لدى الكنيسة الكاثوليكية مثلاً. وهكذا يمكن نشوء شتى التفسيرات، بل وإساءة التفسيرات.

ماذا تقولين عن النظرية التي تقول إنه لا يمكن هزم الإرهاب إلا إذا أخذ العالم الإسلامي بالمبادئ العلمانية والإنسانية للعالم العصري ؟

شمل: كثيراً ما نسمع في الغرب هذه النظرية التي لم تثبت صحتها. وأنا لا أوافق عليها كما هي هكذا. لماذا نحاول تنظيم كل شيء طبقاً لحضارتنا الغربية ؟ لكل حضارة قيمها، لكن أحيانا يجري انحراف هذه القيم وتشويهها على نحو منظّم. أليس هذا هو الحال تماماً مع قيمنا المسيحية ؟ فعلينا ألا نقصر نظرنا على الانحرافات، ونحن لا نحكم على المسيحية بحسب الحملات الصليبية ومحاكم التفتيش.

بن لادن ورفاقه الأشرار لا يستطيعون إذاً أن يدفعوا أنّا ماري شمل إلى أن تفقد ثقتها بالإسلام ؟

شمل: كلا. إنني أعرف حضارة الإسلام خير معرفة، وبعض الأفراد في ايرلندا الشمالية لن يدفعوني إلى أن أفقد ثقتي بالمسيحية.

حاورها هارالد بيسكوب

أنّاماري شمل، مولودة عام ١٩٢٢، وهي أشهر عالمة إسلام ألمانية. وقد نشرت كتباً عديدة عن العالم الإسلامي. وفي عام ١٩٩٥ حصلت على جائزة السلام، التي يمنحها اتحاد المكتبات الألماني.

ترجمة: أمين الشامي

أدونيس Adonis

هذه الحضارة المريضة

يدين الشاعر أدونيس الإرهاب في جميع أشكاله، لكنه يرفض الحرب كوسيلة لمكافحة الإرهاب. وليست هناك حضارة عربية يمكنها أن تنافس الحضارة الغربية. ثم إنّ الحرب أوضحت أنّه لا يمكن وضع المسلمين جميعاً في موقع واحد موحد. والحضارة الحديثة مريضة لأنّها لا تجعل الإنسان قيمة في ذاته ولذاته.

١ – مكرراً، لا بد من إدانة الارهاب في جميع أشكاله، لأي سبب كان، ومن أية جهة أتى: سواء كانت فرداً أو منظمة أو دولة.

ومكرراً، لابد من إدانة هذه الحرب لسبب أساسي هو أنها ليست الوسيلة الفُضلى والأكثر فعاليّة للقضاء على الإرهاب، هذا إذا كان بالفعل غايتها الحقيقية.

خصوصا أنه من المفترض أن يعرف الجميع أن بن لادن ليس ظاهرة فريدة أو مفردة في التاريخ العربي – الإسلامي، وإنما هي تنويع جديد. المسألة إذن ليست في مجرد القضاء على هذا التنويع، بل هي القضاء على الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة. وهي في التحليل الأخير، ليست وليدة الداخل العربي – الإسلامي وحده، وإنما هي في المقام الأول خصوصا في جوانبها السياسية، وليدة الخارج الغربي: وليدة نظرته إلى العرب وسياساته ضد العرب.

بل إن هذه الحرب تجعل في نفسها من الإرهاب ظاهرة كونية، وهو إذن لا يُعالج إلا باستئصال جذوره الكونية.

وإنها لمأساة–مهزلة لم تعرف من الإرهاب ظاهرة كونية، وهو إذن لا يُعالج إلا باستئصال جذوره الكونية.
وإنها لمأساة – مهزلة لم تعرف الإنسانية مثيلا لها، أن تُلقي هذه الحرب على الشعب الأفغاني القنابل التي تدمره، وأن تُلقي عليه في الوقت نفسه الخبز الذي يهدئ جوعه.
٢– ينبغي أن تكون هذه الحرب، إذن، مناسبة للعودة إلى مزيد من التأمل، حضاريا، في الوضع الإنساني، على المستوى الكوني من جهة عامة، وفي الوضع الإسلامي – الحضارية عليها بحيث صارت هي نفسها بشكل أو آخر، جزءاً من الحضارة الغربية.
٢ – أما في العصور الحديثة، فإن الغرب والمسلمين، حضاريا، جزء من الغرب وهم في موقع المستهلك، لا موقع المنتج، وهم إذن، بالضرورة في موقع التابع، وليس لهم اليوم حضاريا ما يتحدى الغرب لكي يُصارعه.
أين مواطن الصراع إذن ؟ وما هو ؟
إنه الرد على الصراع الذي خاضه العرب سابقا في تاريخ

العربي، من جهة خاصة، بوصفه موضع «الاتهام» وبوصفه يمثل الآن، موضوعياً: كَبْش الفداء للإرهاب «الأصولي» و«السياسي» في العالم كله وهي مناسبة تُتيح لهذا التأمل أن يتم، خصوصا، في سياق الأطروحة الدارجة: «صراع الحضارات»
٣– نتساءل على المستوى الكوني:
أية حضارة عربية، اليوم تصارعها الحضارة الغربية، أو يمكن أن تصارعها ؟ ويعرف الجميع أن الحضارة العربية، بمدلولها التاريخي انتهت. هكذا لم يعد الصراع ممكنا ضد علم ابن الهيثم وصحبه العلماء، أو فلسفة ابن رشد وصحبه الفلاسفة أو طب ابن سينا وصحبه الأطباء، أو فن الواسطي وامرئ القيس وصحبهما الفنانين والشعراء...أو ضد الهندسة المعمارية العربية – الإسلامية من تاج محل حتى قرطبة وغرناطة، فهذه منجزات إبداعية أخذها الغرب قليلا أو كثيرا، وأفاد منها، بانياً أسسه

انتهى، عندما كانوا في موقع الإنجاز الحضاري، أي موقع القوة والهجوم بحثا عن فضاء جديد، ويتمثل هذا الصراع لا في القضاء على المسيحية بوصفها دينا، وإنما في تجريد الدين المسيحي من كونه، تحديداً، قوة سياسية، تُناهض القوة السياسية الإسلامية، وعندما كان يتم الانتصار على هذا الجانب السياسي، كانت هذه الأديان الثلاثة المسيحية واليهودية والإسلام، تتلاقى وتتآلف بوصفها رؤى إنسانية وحضارية، متنوعة ومتكاملة، وقد تحقق ذلك، مما يعرفه الجميع بداهة، في دمشق وبغداد والقاهرة – وفي الأندلس، على الأخص.
والغاية اليوم من صراع الحضارات، بالنسبة إلى الغرب، إنما هو بالضبط تجريد الدين الإسلامي من كونه، تحديداً، قوة سياسية تناهض القوة الغربية التي هي الآن في موقع الانجاز المتفوق، والبحث عن فضاء لتعميم هذا الإنجاز، فأطروحة «صراع الحضارات» هي عمقيا، أطروحة

سياسية محضة-أطروحة استتباع وهيمنة مموهة بغطاء «الحضارات»، أضيف أن هذه الحرب أوضحت أنّه لا يمكن وضع المسلمين جميعا في موقع واحد موحّد، لا نظرياً ولا عمليا، فهناك تأويلات عديدة ومتنوعة للإسلام، على مستوى الأنظمة والجماعات والأفراد، تؤدّي إلى مواقف نظرية وممارسات عملية عديدة ومتنوعة بحيث يمكن القول في المحصلة إنه ليس هناك إسلام واحد، لكي يُقال إن المسيحية الواحدة تصارع هذا الإسلام الواحد.

٤ – أما على المستوى العربي فإن هذه الحرب مناسبة لمزيد من التأمل الجذري في واقع العرب في ضوء القرن الذي سبق، وكان قرن انكسارات وتراجعات ضخمة، في جميع النواحي وفي ضوء هذا القرن الطالع الذي نبدو فيه نحن العرب كأننا مصرون على متابعة انكساراتنا وتراجعاتنا.

والملاحظة الأولى في صدد هذا التأمل هى أن الدول العربية والإسلامية أعطت للولايات المتحدة، صمتا أو جهراً الزعامة «المطلقة» على العالم الحديث، بعد زعامتها الاقتصادية السياسية: تضيف القيم (الحرية، العدالة، الحق، المقاومة، العنف، الإرهاب...الخ) وتحديد معاييرها، وحق الدفاع والحرب، وفقا لهذا التصنيف ولهذا التحديد، وهكذا أتاحت هذه الدول للولايات المتحدة أن تتصرف عربيا، كأنها «حارسة» العدالة والحق والحرية، وجميع القيم في عالم اليوم، وكأن جيشها قانون لحماية هذه القيم، ومن ليس معها في هذا كله، فهو ضدها.

٥ – إن أقل ما توصف اللحظة الراهنة من الحضارة الحديثة هى أنها لحظة «مريضة» وسواء سُمّيت «يهودية – مسيحية» أو «إسلامية» أو «بوذية» أو «هندوسية» أو «إفريقية»... الخ، أو هذه معا جميعا، فإن الأمر لا يتغير نوعا، وإن تغيّر في الدرجة، بحسب الشعوب والمناطق والظروف التاريخية والاجتماعية.

ويتمثل هذا المرض بالنسبة إليّ في أنه لم تعد للإنسان قيمة في ذاته ولذاته، بوصفه إنسانا، أيّاً كان موطنه وانتماؤه، فلقد أصبح الإنسان يقوم بوصفه مجرّد وظيفة واستخدام، مجرد أداة أو شيئ، بل لقد أصبح هو نفسه آلة، وربما صار الانقلاب عليه وشيكا: كما تمرد الإنسان على خالقه، فإن الآلة سوف تتمرد هي نفسها على الانسان.

ولهذا فإن الموقف من الحضارة الحديثة يجاوز مجرّد النقد، إلى إعادة البناء، فالمسألة جوهريا في ضوء ما يحدث في العالم اليوم إنما هي إعادة بناء العالم برؤية جديدة، وممارسة جديدة، إنسانيا وحضاريا.

ولد الشاعر السوري أدونيس في عام ١٩٣٠ وهو من أهم ممثلي الحداثة في الأدب العربي.

غونتر غراس Günter Grass

على الغرب أن يتساءل عما ارتكبه من أخطاء

يتحدث غونتر غراس في هذا الحوار عن العالم بعد الحادي عشر من سبتمبر/أيلول. وينتقد آراء نايبول – الفائز بجائزة نوبل هذا العام – حول الإسلام، أما الكاتبة الهندية أروندّاتي روي فيتفق معها في وجهات نظرها. ويرى غراس أن على الغرب ألا يتأخر أكثر من هذا في مد يد العون إلى الدول النامية. غراس، الذي ينتمي إلى مثقفي اليسار، ينتقد إسرائيل والولايات المتحدة بشدة.

هل تشعر بالقلق تجاه حزبك القديم، الحزب الاشتراكي الديمقراطي SPD، تجاه وعود المستشار شرودر، والخطاب الإعلامي الحكومي منذ الحادي عشر من سبتمبر/أيلول؟

مع كل الميل الذي مازلت أشعر به تجاه الائتلاف الحاكم المكون من الاشتراكيين الديمقراطيين والخضر: أنا لا أقيم وزنا لتصريحات شرودر التي يعلن فيها «التضامن غير المحدود»؛ إنني أولي أهمية كبيرة جدا للتضامن مع الحليف الكبير البالغ القوة، الولايات المتحدة، ولكن التضامن غير المحدود من الصفات السيئة بين الأصدقاء. عندما تربطني صداقة مع شخص وأشعر بالتضامن معه، فلابد أن أكون في وضع يسمح لي أن أنبهه وأعارضه إذا

ارتكب خطأ، وإلا فالنتيجة ستكون تضامنا أعمى يعوق التفكير. وهذا هو ما يحدث الآن. كل نقد يُوجه إلى الولايات المتحدة تُلصق به على الفور تهمة «معاداة أمريكا». حتى وزير الداخلية لم يتورع عن استخدام مثل هذه الكلمات القبيحة. هذه حماقة. إن المثقف المفرد الذي يتعرض للتوبيخ مع الجماعة سيستطيع أن يتجاوز هذا الموقف، ولكن هذه الطريقة التي تحد من الحقوق الديمقراطية الأساسية وتكمم الأفواه ستؤدي في كل مرة إلى انتصار الإرهابيين. في اللحظة التي نقلص فيها ما ينبغي علينا أن ندافع عنه، وما نريد بحق أن ندافع عنه – وأعني الديمقراطية والحقوق الأساسية – في هذه اللحظة ندعم عمل الإرهابيين.

ولكن من يكمم الأفواه في ألمانيا؟
أنا أرفض التوبيخ الذي وجهه السيد شيلي وزير الداخلية إلى المثقفين عموما في ألمانيا. إن النقد الذي يُنشر في ألمانيا – وأنا من بين المنتقدين – لا يُقارن أبدا بذلك النقد الذي يعبر عنه المثقفون الأمريكيون في بلادهم. هناك نسمع أصواتا تذكر بفترة المكارثية. على سبيل المثال ما كتبته سوزان سونتاغ في مقالتين في جريدتكم (فرانكفورتر ألغماينه ٢٠٠١/٩/١٥ و ٢٠٠١/١٠/١١) أو ما نشره جون لو كاريه (فرانكفورتر ألغماينه ٢٠٠١/١٠/١٧) وأرونداتي روي (فرانكفورتر ألغماينه ٢٠٠١/٩/٢٨)، هذه المقالات تفوق بمراحل ما يمكن أن يجرؤ أمثالنا على قوله.

في هذه الأيام يدور الحديث دوما عن دور ألمانيا في السياسة الدولية. هل مازالت ألمانيا تفتقد إلى الثقة بالنفس؟
هذه بالطبع علامة أخرى من علامات الارتباك والقلق: من ناحية هناك حب الظهور بطريقة لافتة للنظر، من ناحية أخرى انعدام الثقة بالنفس. من أجل ذلك يظن المرء أنه لابد أن يضيف إلى الوعد بالتضامن – وهو تضامن أراه في محله بالنظر إلى الاعتداءات الإرهابية في نيويورك وواشنطن – يضيف كلمة تسنده مثل «غير محدود»؛ ولهذا يتودد الألمان الآن حتى يُسمح لهم بالمساهمة العسكرية في الحرب ضد الإرهاب. أعتبر ذلك مبالغا فيه ولا يتناسب مع الحدث. بل إن الأمر يكاد يكون مخجلا عندما يعرض الألمان مساعدتهم التي لم يطلبها الأمريكان، أيا كانت أسبابهم في ذلك. هناك إمكانيات أخرى تماما للمساهمة الألمانية. الضربات العسكرية لن تحل المشكلة. لابد أن نساهم بأشياء تنبع من خبرتنا، أشياء ليس في استطاعة الولايات المتحدة أن تقوم بها الآن كما يبدو، لأنهم يعتمدون كلية على الشق العسكري. علينا بالتعاون مع الدول الأوربية الأخرى أن نقوم بحملات إغاثة واسعة النطاق تضمن الغذاء للشعب الأفغاني الآن قبل بدء فصل الشتاء. إذا أردنا أن نبرهن على شجاعتنا فهناك فرص عديدة لفعل ذلك لصالح المدنيين في أفغانستان. هناك شيء آخر يمكن لألمانيا القيام به وسيكون له ثقل أكبر: في الستينات والسبعينات كان لدينا في ألمانيا سياسي أصبح مستشارا ثم تولى رئاسة لجنة الشمال والجنوب، أعني بالطبع فيلي برانت. إذا قلبنا اليوم في تقرير «الشمال والجنوب» الذي قدمه آنذاك، فسوف نرى ما فات على الغرب أن يفعله والذي ساعد على نشوء هذا الإرهاب الخطير. عندما كان الصراع بين الغرب والشرق يشغلنا جميعا أشار برانت في الوقت المناسب إلى الصراع القادم بين الشمال والجنوب. مؤخرا اعترف المستشار الأسبق هيلموت شميت في حديث تلفزيوني أن حكومة الاشتراكيين الديمقراطيين في ألمانيا كانت آنذاك مشغولة تماما بالشرق والغرب، ولم تر المشاكل الملحة الناجمة عن صراع الشمال والجنوب، كما أنها لم تكن تريد أو تستطيع أن تقر لفيلي برانت بنفاذ البصيرة. فيلي برانت كان يطالب بنظام عالمي عادل، إنه أول من استخدم تعبير «السياسة الداخلية للعالم». هذه السياسة مازالت تنقصنا حتى الآن. لا يمكننا أن ندافع عن الديمقراطية عندما نتحالف مع دول كانت تصفها لغة الرئيس الأمريكي بالدول المارقة. أما ما يحدث الآن على الساحة العسكرية فإنه سوف يخلق جيلا جديدا من الإرهابيين.

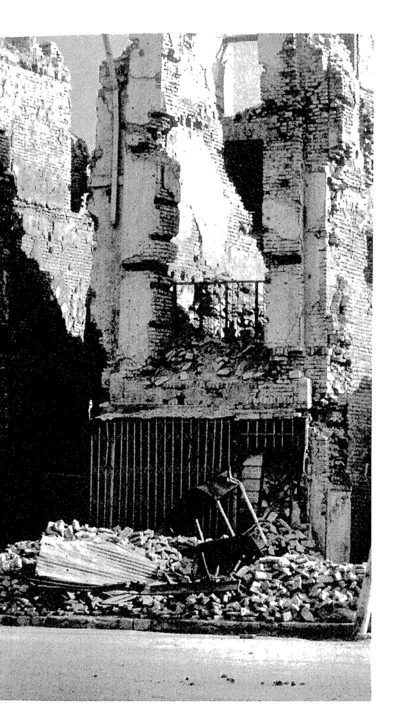
ولكن ماذا نفعل إذا كان تراث فيلي برانت قد طواه النسيان حتى داخل حزبه؟
إذا أكون أنا الآن الشخص الذي يذكّر الحزب به. على الحزب أن ينفض الغبار عن الكتاب ويقرأه، عندئذ سوف يرى أن هذا الحوار كان يمثل الركن الآخر في رؤية برانت إلى جانب سياسة الاسترخاء. لم يستطع برانت أن يتنبأ بأن العولمة سوف تزيد من صعوبة وضع دول العالم الثالث، هذا أمر علينا أن نأخذه اليوم أيضا في الاعتبار. ولكن فيلي برانت أشار إلى الاتجاه الفكري الواجب علينا السير فيه.

أما اليوم فإن رفقاءه في الحزب يسيرون في اتجاه آخر. عندما يسمعون كلمة عولمة فإنهم لا يفكرون في صراع الشمال والجنوب، وإنما في البطاقات الخضراء Green Card.
في هذه النقطة معك حق بالتأكيد؛ لكن ذلك لن يمنعني أن أتقدم بالعون إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي

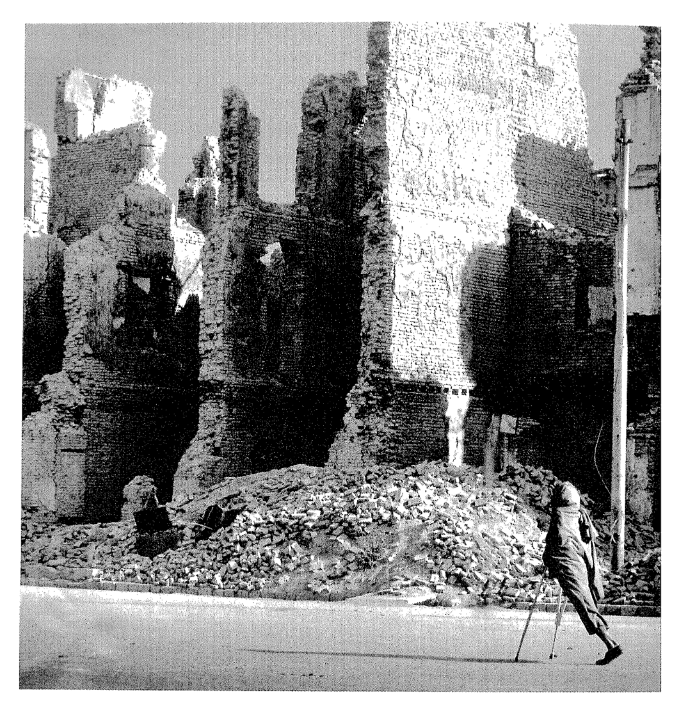
مازلت أتعاطف معه، حتى وإن كان ذلك بطريقة فظة غير مريحة.
لستَ الإنسان الذي يخشى إثارة غضب الآخرين أو عداوتهم. قبل عدة أيام شن رئيس المجلس المركزي لليهود في ألمانيا – باول شبيغل – هجوما شديدا عليك بسبب حديث صحفي اتهمت فيه الحكومة الإسرائيلية بارتكاب أفعال «إجرامية». في أعقاب ذلك صرّح شبيغل بأنك تضع حق إسرائيل في الوجود موضع المساءلة، وقال: «إذا تأملنا في كلمات غراس فإن الرسالة التي يوجهها هي: لا بد من إزاحة إسرائيل عن الوجود.»
مَن يقرأ المقابلة التي أجريت معي سيتأكد أنني أعلنت ما يطالب به العديد من منتقدي السياسة الإسرائيلية الحالية، ومن بينهم كذلك مواطنون إسرائيليون، وأيضا الكثير من اليهود في ألمانيا ونواحي أخرى من العالم: يجب العودة إلى اتفاق أوسلو، ولابد من الانسحاب من المناطق الفلسطينية المحتلة؛ بالإضافة إلى ذلك أكدت على ضرورة إخلاء المستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية التي بُنيت في تلك المناطق بطريقة إجرامية، هذا إذا كنا نريد السلام. أنا لم أشكك أبدا في حق الوجود لدولة إسرائيل داخل حدودها. وكيف لي أن أفعل ذلك؟ وأنا تربطني علاقات صداقة في إسرائيل مع كثيرين، وأنا أقف في صفهم؛ ولأنني أقف في صفهم – كما هو الحال في علاقتي مع أمريكا وأيضا مع ألمانيا – فأنا أشعر بواجب النقد. تماما كما في حالة توجيه النقد إلى أمريكا، فإن انتقادي للأوضاع السائدة يُوصف بأنه معاد لإسرائيل.
أنا لا أفهم السيد شبيغل مع احترامي الكامل له. إلا أنني أحتفظ لنفسي بالحق في وصف الأفعال الإجرامية بأنها إجرامية. أيضا أرى أن رئيس وزراء إسرائيل الحالي قد سلك في لبنان سلوكا إجراميا، وأن زيارته للحرم الشريف كانت استفزازا مقصودا يستحق أن يُدان في موقف خطير كهذا. كل ذلك يجب أن يُتاح قوله، بل لابد من قوله.

يقول باول شبيغل إن تصريحاتك تشبه أقوال أعداء إسرائيل المتطرفين.
حتى السيد شبيغل لن يمنعني من أن أظل صديقا لإسرائيل.

بعض ردود الفعل تبدو مبالغا فيها هذه الأيام، في حين تبدو بعض الأشياء وكأنها تطل برأسها من الماضي. من يسمع وزير الداخلية الألماني أوتو شيلي يتحدث عن حملات البحث والتحري عن المشتبه فيهم



يشعر بأنه قد عاد على نحو غريب إلى سنوات السبعينات، ألا ترى ذلك؟
من المفارقات أن علينا لآن أن نذكّر شيلي بذلك الزمن الذي كان فيه كمحامي ينتقد – عن حق – الدولة وإجراءاتها، كالحبس الانفرادي على سبيل المثال. آنذاك وجدنا أنفسنا نوافقه على آرائه. كان يقف في الجانب الآخر ويخشى ما أخشاه الآن تماما: وهو أن تقلصَ دولة القانون قاعدتها. من ناحية أخرى فإن المخاطر لا يمكن إنكارها، وأخشى أن يتزايد الإرهاب الذي ظهر في الحادي عشر من سبتمبر /أيلول. إنني أرى مخزون التطرف اليميني والغضب والإحباط الذي ينقلب إلى كراهية، وإن تنوعت الأسباب. هذا المخزون من الممكن أن يتحالف مع ذلك الإرهاب الصادر عن العالم الثالث. واليوم توحدهم كراهية اليهود.
لم يدهشني أن الرئيس الأمريكي وجد نفسه مضطرا أن يعترف أن حالات الإصابة ببكتريا الجمرة الخبيثة مؤخرا



ليس لها صلة بابن لادن، وإنما من الممكن أن يكون مصدرها في أمريكا. هناك – في الولايات المتحدة – مخزون يميني متطرف قوي ومدجج حتى قدميه بالسلاح، أكبر بكثير من أي دولة أخرى في هذا العالم. كل أملي في هذه النقطة أن أكون مخطئا. ولكن إمكانية حدوث تحالف كهذا لابد أن يكون على الأقل واضحا لنا.

هل يمكننا فعلا التحدث عن وجود علاقة ما؟ أليس الأمر بالأحرى مجرد تزامن ظواهر ليست مرتبطة مضمونا مع بعضها؟

أنا فقط أقول إن عقد التحالفات غير المقدسة بدأ ينتشر، وإنه من الممكن جدا أن يُعقد تحالف غير مقدس بين الإرهابيين الذين يحيطون بابن لادن أو بين جماعات أخرى لها دوافع مشابهة وبين حركات إرهابية يمينية متطرفة. بالنظر إلى المخاطر التي تهددنا فإنه من الخطأ ومن السذاجة أن نختزل كل شيء إلى اسم ابن لادن. بل وأسوأ من ذلك: إن ذلك من علامات العجز. والموقف أعقد كثيرا. لذلك لابد أن تكون الإجابة أيضا أكثر تعقيداً. لقد أشرت من قبل إلى أن الضربات العسكرية ليست حلا، وأنها لا تقود إلا إلى مزيد من الضحايا ومزيد من الكراهية. على الغرب أن يكون شجاعا ويسأل نفسه عما ارتكبه من أخطاء. في «تقرير الشمال والجنوب» الذي كتبه فيلي برانت منذ أكثر من عشرين عاما يمكننا قراءة الأخطاء التي ارتكبت – أخطاء تكررت مرارا منذ ذلك الحين. جون لو كاريه كتب في صحيفة «فرانكفورتر ألغماينه» عن الفرص الضائعة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي. إن أكبر الفرص التي لاحت للغرب عام ١٩٩٠ كانت هي الاستفادة من الطاقات التي تحررت، ووضع خطة شبيهة بخطة مارشال لإعادة بناء شرق أوروبا ودول العالم الثالث.

الغرب: أهو سلسلة لا تنتهي من الجرائم والأخطاء والفرص الضائعة؟

لا أقول ذلك. بالطبع هناك اشتراك في الذنب وتورط من قبل الحاكمين في تلك البلاد – مثلا عندما يُنعم على الشعوب هناك بحكومات فاسدة – وإن كنا لابد أن نقول إن حكومات عديدة فاسدة يتم دعمها من الدول الغنية، وعن طريق هذا الدعم فقط تستطيع الاستمرار في الحكم. يجب دراسة كل حالة بالطبع على حدة، ولكن إجمالا يمكن القول إن سياسة الغرب كانت حتى الآن دائما على حساب دول العالم الثالث. وأشك إذا كانت للغرب القوة أن يتغاضى عن مصالحه الذاتية الملحة لكي يفكر في صالح الكون، وينظر إلى العالم الثالث كشريك مساو له في الحقوق. إذا فعلنا ذلك فستكون خطوة حاسمة لاجتثاث جذور الإرهاب الحالي وتجفيف منابعه بصورة دائمة. أما إذا لم نفعل ذلك، ووضعنا ثقتنا في الضربات العسكرية وأعمال المخابرات، فسوف ينشأ جيل بعد آخر من الإرهابيين.

لكنني أريد الإشارة إلى شيء آخر أعتبره مميزا لعلاقة الغرب مع العالم الثالث: أي الطريقة التي نحصي بها الموتى. تمثل هذه الطريقة إهانة دائمة للموتى في العالم الثالث. إن الهجمات الإرهابية التي وقعت في نيويورك وواشنطن وأسفرت عن عدد قتلى يقترب من الستة آلاف هي جريمة بشعة ولا يمكن تبريرها. ولكن عندما قتلَ الصرب والكروات خلال عامين أو ثلاثة نحو ربع مليون مسلم من البوسنة فإن الحزن الذي أصابنا آنذاك والتأمل في العواقب الذي أعقبه، لا يمكن بأية حال أن يُقارنا بما أثاره مقتل ٦٠٠٠ شخص في نيويورك وواشنطن. في رواندا، حيث تخلى الغرب عن مسؤوليته بطريقة يعاقب عليها القانون، قُتل، حسب تقديرات تقريبية، حوالي ٨٠٠٠٠٠ إنسان، لم يكد العالم يعلم عن مصيرهم شيئا. لا بد أن أحترس أنا نفسي من هذا التباين في طريقة الإحصاء، لأنني أعيش في هذا العالم الغربي الغني، وبرعب وحزن عايشت ما حدث في نيويورك. أما القتلى الكثيرون جدا الذين قضوا نحبهم من جراء الحصار المفروض على العراق، والذين لا يذكرهم أحد تقريبا بكلمة، هؤلاء لم يحتلوا في تفكيري سوى المرتبة الثانية أو الثالثة. أو لنفكر فيما يحدث الآن في أفغانستان. لا أقصد الضحايا المدنيين الذين أصيبوا خلال الهجوم بالقنابل، الموت بدأ في أفغانستان قبل ذلك بأمد بعيد. إذا لم نتعلم أن ننظر إلى هؤلاء الموتى على أن لهم نفس القيمة، فسوف نخسر الكفاح الذي نخوضه من أجل حقوقنا الديمقراطية الأساسية.

الكاتبة الهندية أروندااتي روي أشارت منذ فترة إلى الأطفال الجوعى في العراق، والأطفال الأفغان الذين فقدوا سيقانهم في حقول الألغام السوفيتية.

وهي محقة في ذلك! ينبغي أن ينحفر كلامها عميقا في ذاكرتنا، ويحثنا – على الأقل في المستقبل – أن نعامل القتلى بالعدل. لم يكن في استطاعتي أن أكتب ما كتبته على هذا النحو؛ المرء يشعر لدى أروندااتي روي بالغضب، الغضب المتحكم فيه من إنسان مُصاب. أرى أن نقدها صحيح، لاسيما وأنها لا تدخر نقدا تجاه حكومة بلادها وحكومة باكستان، فهي ترى أيضا الأخطاء في وطنها.

أثارت هذه المقالة نقاشا كبيرا في ألمانيا وبالذات حول مقطع أثار ردود فعل عنيفة، وصفت فيه أروندااتي روي ابن لادن بأنه «القرين» المظلم لجورج بوش.

إنها صورة مبالغ فيها، لكنها صحيحة إلى حد ما. أمريكا تدعو بتعجل إلى شن حملات صليبية: الخير ضد الشر، الطريقة الأمريكية في الحياة تُفرض كطريق وحيد للحياة الإنسانية. إنها العنجهية أن تقسم أمريكا العالم الآن إلى قسمين: إلى نصف متحضر وآخر يُصنف على أنه «غير متحضر»، دون أن تُنطق هذه الكلمة. في الوقت ذاته تتحالف أمريكا مع بوتين وتغض النظر عن الحرب مع الشيشان، ومع الرئيس الصيني وتغض النظر عن الإجراءات القمعية في الصين، أي أنها تتحالف مع بلاد مارقة حسب المقاييس الأمريكية. من يعرف الولايات المتحدة قليلا، يعلم كيف يتم هناك الاهتمام البالغ بتقاليد أصولية لدى مختلف الجماعات الدينية؛ هذا يفسر بعض تعبيرات بوش. يذكرني ذلك على نحو غير سار على الإطلاق بالأصولية الدينية – المسيحية والإسلامية.

بفوز نايبول يحصل أديب منتقد للإسلام على جائزة نوبل. مثلك كان نايبول سنوات طويلة على أعلى قائمة المرشحين. هل كنت تتوقع فوزه؟

لا. نايبول كاتب متميز، لكنني لا أوافقه على آرائه السياسية حول العالم الثالث.

نايبول ينتقد الإسلام أيضا انطلاقا من خبرة شخصية. ما هي علاقتك بالإسلام؟

زرتُ الهند مرات عديدة، وكنت لفترة قصيرة في بنغلادش أيضا، وهي بلد أُدخل فيها الإسلام بالقوة، حيث تم تهجير السكان الهندوس أو قتلهم. فيما يخص دور الإسلام في تلك البلاد والتاريخ الدموي المشترك أشيرُ إلى كتب زميلي العزيز سلمان رشدي:

«أطفال منتصف الليل» و «الخجل والعار». نأمل ألا تنفجر المنطقة كلها – باكستان بحدودها مع الهند وصراعهما حول كشمير. خلال إقامتي في الهند التي امتدت إلى نصف عام زرت بعض الأماكن، خصوصا الأحياء الفقيرة التي يعيش فيها الهندوس بسلام مع المسلمين. ثم – هكذا قيل لي – يأتي ساسة متعصبون، ويحرضون عشرات من الشبان على إطلاق خنزير داخل مسجد صغير. وعلى الفور تُستل السكاكين.

على ذكر رشدي: هل كنت تتوقع أن يحصل رشدي هذا العام على جائزة نوبل؟ بكلمات أخرى: هل كنت تزكيه للأكاديمية؟
يحق لي التزكية، ولقد شجعت الأكاديمية السويدية أن تتحلى مرة بعدم التواضع، وأن تمنح الجائزة في عامها المئوي إلي كاتب سويدي، وتحديدا بر أولوف إينكويست(Per Olof Enquist). إنني أقدره عظيم التقدير لمواقفه المبدئية، ومشاركته في القضايا الاجتماعية والسياسية، وبراعته الأدبية الكبيرة، لكن الأكاديمية لم تأخذ بنصيحتي.

أجرى الحوار هوبرت شبيغل (Hubert Spiegel)

ولد غونتر غراس عام ١٩٢٧، ويعتبر من أهم كتاب ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. ومن أشهر أعماله «الطبل الصفيح». في عام ١٩٩٩ حصل غراس على جائزة نوبل للأدب.

ترجمة: سمير جريس

ينس يسن Jens Jessen

مخاوف أوروبا القديمة

بعد هجمات نيويورك وواشنطن في ١١ أيلول/ سبتمبر يتساءل الصحافي ينس يسن فيما إذا كان الغرب مهدداً فعلاً. الكثير من المخاوف ليس لها أساس موضوعي، لكنها تعود إلى المخاوف الأوربية القديمة من القرون الوسطى.

هل يعود الخوف إلى الغرب؟ الاقتصاد يخشى من الركود، لأنّ المستهلكين لا يقبلون على الشراء توقعاً لقدوم المصائب. إلا أنّ الطلب على أقنعة الغاز في ارتفاع. أخطر من هذا هي الإجراءات الأمنية التي ترفع من قيمة النقل. شركات الخطوط الجوية وفي مقدمتها اللوفتهانزا تلغي رحلات عديدة لأنّ الركاب يخشون ركوب الطائرات. وسوق السفر إلى بعض البلدان قد انهارت تقريباً، ليس فقط إلى تلك البلدان التي فيها خطورة على حياة المسافرين، إذ يكفي التفكير في الخطر الإسلامي كي يكف الناس عن السفر إلى مصر مثلاً. ينظر الناس في هذه الأيام بريبة إلى كل شيء يشبه مسحوقاً أبيض، حتى لو كان مسحوق السكر الذي يوضع على الحلويات. هذا الخوف يعود أكثر من أي شيء آخر إلى التاريخ القديم للمخاوف الأوروبية. أن يجلب السحرة بمسحوق متطاير في السماء، الموت والهلاك للبشر، هذا ما كان الناس في العصور القديمة يصدقونه. فخلال انتشار الطاعون في ميلانو عام ١٦٣٠ ميلادية اتجه الخوف إلى المشعوذين الذين قيل إنهم قاموا بطلاء جدران البيوت بمادة بيضاء سامة. ربما كان هناك من استغل خوف الناس، كما هي الحال اليوم، وقد لا يوجد هؤلاء أصلاً. لكن رغم رفض السلطة لهذه الخرافات، هاجم الشعب الغرباء الذين كانوا يقفون أمام هذه الجدران المبيضة وكثيراً ما ضربوهم حتى الموت. من صفات الذعر الغريب الجديد، أنّ آراء الناس تضاربت بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر حول مسحوق ينشر الأوبئة عبر الهواء أو عن طريق الرسائل. وقبل ظهور الرسائل الأولى التي احتوت جرثومة الجمرة الخبيثة في أمريكا، كان الخوف منها قد انتشر. يجب ألا يدفعنا هذا الخوف إلى أن نرى في هذه الظاهرة كاستراتيجية نفسية للإرهابيين، إنما الأثر النفسي الذي تركته هذه الاعتداءات يعود أيضاً إلى مجموعة المخاوف المتوارثة من القرون الماضية التي استقرت في قاع الذاكرة الجماعية والتي يمكن أن ينهل منها كل من يريد أن ينشر الذعر.

من صفات الذعر الجديد أيضاً الخوف من الغريب. أول إجراء اتخذه المسؤولون عند انتشار الطاعون في ميلانو كان إغلاق أبواب المدينة، وهو أقصى ما استطاعوا القيام به ضد الوباء. لكن الناس كانوا على قناعة بأنّ الغرباء سيجلبون مصائب أخرى في كل الأحوال. هذه الإجراءات لم تطمئن الشعب، فالذعر ارتفع من خلال التدابير الأمنية، لأنها تعكس في رأيهم خطورة الوضع القائم. وظاهرة انتشار الخوف عبر الإجراءات الوقائية نلحظها اليوم أيضاً. فمن عايش إجراءات التفتيش في المطارات، سيدرك إلى أي حد يمكن أن يكون الطيران خطيراً. ومن يأخذ إجراءات الأمن الجديدة في البحث عن «نائمين» محتملين، وخصوصاً الأجانب العاديين على محمل الجد، سيشعر أيضا بالخوف من التركي اللطيف الذي - من يدري - قد يكون في داخله إرهابياً.

يرتفع الذعر من خلال التدابير الأمنية

صحيح أنّ تفتيشاً أدق على الحقائب والأشخاص في المطار أمر ضروري. صحيح أيضاً أنّ باستطاعة الإرهابيين أن يقوموا بعمليات دون أن يكشفهم أحد. ومن يتحرى عبر إجراءات بوليسية فهذا لا يعني أنه يؤمن بالخرافات. لكن صحيح كذلك أن أي إجراء حكومي يرفع الذعر ويدفع بكل المجتمع نحو الشلل بفعل سيادة وهم الأمن. فعندما ازداد الخوف من الخطر التركي في أوروبا في القرن السادس عشر، حامت الشبهات من جديد حول المسلمين الذين تنصروا في إسبانيا قسراً إثر سقوط الأندلس. فهؤلاء الذين لُقبوا بـ «Moriscos» اعتبروا «نائمين» أيضاً، لأنّهم قد يساعدون من خلال التخريب الداخلي العدو التركي الذي كان يزحف من الحدود البعيدة باتجاه أوروبا.

في البداية حاول جيل من العلماء أن يقدم وجهاً مدنياً لا بل مثالياً لتركيا، ثم أخذ اللاهوتيون فيما بعد يصنعون صورة جديدة للعدو، وحتى إيرازموس (Erasmus von Rotterdam) الذي كان قبل ذلك يجاهر بعدائه للحرب، دعا إلى محاربة الكفار. لكنّ مارتين لوتر (Martin Luther) لم ير في الحرب حلاً، إنما اعتبر أنّ العدو في الداخل وأنّ الغرب قد تراجع منذ وقت طويل بسبب الانحلال الأخلاقي الداخلي. هذا النقاش مطروح اليوم أيضاً: بين دعاة الحرب الذين يطلبون من الغرب تبني روح قتالية وبين أولئك الذين ينصحون بالتراجع عن الممارسات السابقة وإعلان الندم، لأن أمريكا قد جلبت بعجرفتها العقوبة لنفسها.

كلما أصبح القتال ضد العدو الخارجي صعباً، بدأ البحث عن العدو الداخلي. في القرن السادس عشر زادت ملاحقة الهراطقة حدة. أقل انحراف عن الايمان كان يدفع بصاحبه إلى المثول أمام محاكم التفتيش. الشعور بالتهديد دفع بالسلطات للاشتباه في كل شخص. جو الخوف الحالي يعطينا أمثلة على ما سبق: محاولة فهم الهجمات، اعتبرت اعتذاراً للفاعلين «تفكيراً جبانا»، ملخص القول: كهرطقة، يعني ارتداداً عن الايمان القويم بحلف الأطلسي.

كل هذا يمكن أن يفهم كقشور لمناقشة حادة، لو لم تكن عودة النقاط الأساسية والشك والإجراءات البوليسية ضرورية. ثقافة الخوف التي تطورت عبر القرون صاغت العالم الأوروبي، ذلك أنّ عودة النموذج ممكنة في أي وقت. فالخوف الجماعي بعد ١١ أيلول/ سبتمبر ليس الانتكاسة الأولى، لقد قامت دكتاتوريات القرن العشرين وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي السابق بأكثر من ذلك، إذ نهلوا من الماضي: ملاحقة الهراطقة (المنشقون)، محاكم التفتيش (محاكم شكلية، معسكرات إعادة لتأهيل) وإغلاق الأبواب (منع السفر). كل هذا بني على الخوف، على الخوف الوهمي والواقعي. حتى التفكير بالحروب الصليبية عادت الحياة إليه، إما كثورة عالمية في القرن العشرين أو كحرب ضد أعداء الحرية في القرن الحادي والعشرين.

يقف العالم اليوم على الحافة: أو على الأقل هذا هو الاعتقاد السائد. الإرهاب يهددنا وعلينا أن نكافحه، هذه النقطة ليست موضع خلاف. لكن علينا أن نحذر من أية قُصوية، حتى لا يتحول الخوف المشروع من تهديد ملموس إلى خوف مجهول يجعل من كل شيء ومن أي شخص عدواً. ربما لا تكون الدعوة إلى التأني أمراً جديداً، لكنها مع ذلك تبقى مفيدة. إذ علينا عدم الرجوع إلى نماذج الوهم. وإذا نظرنا إلى تاريخ الغرب كتاريخ للخوف، فإنه سيعلمنا كل شيء نحتاج إليه كي نكون حذرين.

صحافي، مسؤول القسم الثقافي في أسبوعية «دي تسايت» (Die Zeit) الألمانية

ترجمة: أحمد حسو

هانز ماغنوس إنتسنبيرغر Hans Magnus Enzensberger

أوربا تحلم بطهران

هذه الانطباعات كتبها إنتسنسبرغر عن رحلته في إيران. وخلافاً لتوقعاته قابل هناك أناساً منفتحين بشوشين، أما التناقضات الاجتماعية التي تعيشها إيران بين الأصالة الإسلامية والمعاصرة الغربية فقد لفتت انتباه الشاعر، إلا أنه أحس في شوارع طهران بأجواء مريحة يفتقدها في ألمانيا.

فهرس الشخصيات

الراهبة الجرمانية. السلام باليد غير مسموح به، إنه لا يليق. والتحية تُلقى بوضع راحة اليد اليسرى على القلب. امرأة محجبة من الرأس إلى القدم. تبدو خجولة. ألمانيتها هادئة وراقية. وبعد ربع ساعة من التهذب الحذر أشرقت أول ابتسامة. وسرعان ما اتضح أنها لا تقيم وزنا لحكم رجال الدين. وتعشق شعر هولدرلين وغوته. وهي التي تحدد بنفسها ماذا يقربها من الله.

إنها الفنّانة. وبمجرد دخولها البيت تنزع الحجاب. ثم يتبين أنها لا تريد أن تنظر في وجه الحقيقة. ليس للإرهابيين الإسلاميين أدنى علاقة باعتداءات الحادي عشر من أيلول\سبتمبر. الأمريكيون أنفسهم هم الذين قاموا بها. مؤامرة من الصهاينة نفذها الموساد. أثنا عشر ضيفاً إيرانياً يستمعون إليها بأدب شاخصين بأنظارهم تجاه السماء. لقد ألِفوا الحماقات، وتسامحهم يبرهن على أن تقديرهم لحرية الرأي يفوق كل شيء.

البائع في البازار يختلف عن الآخرين. إنه يدعو الغريب – الذي لا يريد شراء شيء – إلى كوب من الشاي، لأنه يرغب في أن يتجاذب أطراف الحديث. وعلم الولايات المتحدة يطل برأسه من على مكتبه. ويتمنى أن يُلقي الأمريكيون القنابل على الملالي، ربما كان ينفرد بهذه الأمنية، إلا أنه يتفق مع غالبية الإيرانيين في البوح بما يدور في رأسه؛ لا أحد هنا يتلفت يميناً ويساراً قبل التحدث.

الكاردينال القصير. الابتسامة الوديعة لكاهن رفيع المقام، الإيماءات النبيلة البليغة، وفرك الأيادي بلطف وبشاشة – تماماً كما يفعلون في الفاتيكان. عالم دين إسلامي يشك في جدوى حكم رجال الدين. أي أن السياسة تلحق الضرر بالدين، أما الشباب فإنه يولي وجهه عن تعاليم الدين الصحيحة. الحجج تُصاغ بعبارات هلامية. النقاش التالي – الذي يشارك فيه آخرون – يُذكِّر بالجدل الذي قاده إيرازموس فون روتردام أثناء عصر الإصلاح الديني في أوربا.



الطالب الطموح واضح الهدف، فهو يبادر بالتحدث مع الغريب في ميدان «نقش جهان»، تلك الساحة الرائعة في مدينة أصفهان. ينوي أن يدرس هندسة المعلومات في ألمانيا؛ لذلك يود أن يجرب معارفه اللغوية. وعدم إطلاقه اللحية يمثل تحديا متواضعا لحراس الثورة. ولديه في المنزل إنترنت. إنه يحكي بنبرات منتصرة أن أباه سمح له بدعوة صديقتين إلى منزل والديه. وفي كل مكان يتحسس الناس بجرأة في حدود المسموح به.
نجم المعاناة. ملامح وجه بارزة، وشارب كثيف أبيض. أسراب من الفتيات المتشحات بالسواد يتحلقن حول الكاتب المشهور. قصصه تقطر تشاؤما بالغ السواد. في حلقة النقاش يبوح بيأسه من بلاده ومن البشرية كلها. لا بارقة أمل في أي مكان. أثناء تناول الغداء في حديقة قصر مدينة شيراز يبدو حسن المزاج، ويأكل بشهية طيبة.

الشاعر كنبوءة

كلهم يقرأون وينشدون ويستشهدون بحافظ، وكأن البلد كلها قد حفظت عن ظهر قلب ما أبدعه هذا الرجل قبل سبعة قرون. «كتاب الأغاني» الذي نظمه يأخذ مكانه بجوار القرآن الكريم على الطاولة بجانب الفراش. والناس البسطاء يستخدمون الكتاب كمصدر للنبوءات، فيفتحون الكتاب كيفما اتفق ويقرأون بعض الأبيات. ما يقوله الشاعر يصلح لكل موقف من مواقف الحياة. وببضعة دنانير يمكنك أن تشتري في الشارع ورقة تنبئك بحظك. هذه الأوراق هي أكثر صدقاً بالنسبة للفرس مما تقوله النجوم.
ولن يجد المرء في العالم كله شاعرا يلعب دوراً مشابهاً. كل عام يحتفلون بالشاعر حافظ في موطنه شيراز ويتجمع الآلاف حول ضريحه الفخم. لقد دُعي إلى حفل هذا العام ثلاثة من الكتاب الألمان أيضا، استُقبلوا ببشاشة وهم يؤدون أدوارهم كالكومبارس. حديث قصير في صالة المرايا بأحد القصور الصغيرة حول ديوان «المغرب والمشرق»، أي حافظ وغوته، وفي مكان آخر يتحوّل مثل هذا الحديث سريعا إلى مناقشات أكاديمية، أما هنا فقد انتقلنا إلى مشكلات إيران الرئيسية. ومثل سلمان رشدي كان حافظ أيضا هدفا لفتوى منعت أشعاره. ولولا انتشار قصائده من فم لفم ما كانت وصلت إلينا. كان الشاعر من كبار الدارسين للقرآن الكريم، ولكن ذلك لم يمنعه عن أن يُفْرِط في العشق، ويقع في هوى الصبيان كما النساء، ويعب من الشراب ما طاب له، ويسخر من المتزمتين ومن رجال الدين:

اثنان وسبعون تعليماً من تعاليم الدين
ما برحت تلوك الكلمات
إلى أن تلفظها جثة ميتة
دون أن تبصر فجر الحقيقة والطريق المستقيم.

منذ قرون وحماة الدين يحاولون الخلاص من فضيحة الشعر، يلوون ذراع كلمات الشاعر بتفسيرات يقف لها شَعر الرأس، لكن دون جدوى. وهذا دليل آخر على أن التقاليد العريقة في البلاد – حتى وإن كانت نصف وردية – تقاوم كل طغيان.

غرفة الإصلاح المظلمة

الشطرنج، إنه اختراع فارسي: ممنوع. والغناء علناً: جريمةٌ يعاقب عليها القانون. وحلق الذقن: مؤشر على الخروج على صحيح الدين. هكذا بدأت الأمور بعد الثورة الإسلامية قبل اثنين وعشرين عاما، واليوم يسخر الإيرانيون من مثل هذه التعليمات. فمنذ سنوات أعادت البلدية وضع طاولات الشطرنج الحجرية في الحدائق: إنها بادرة أخرى من البوادر الصغيرة العديدة على هبوب رياح التغيير في البلاد.
«إنه عمل بالغ الدقة»، عبارة قالها المهندس المعماري من عائلة عريقة، الذي سُمح له من جديد بأن يبني ما يشاء. هي لعبة شد الحبل، نمارسها في هدوء. وكجميع العمليات الإصلاحية في التاريخ: توقّفٌ ثم معاودة السير. وبعد الربيع تعيدنا النكسة إلى الصقيع. ثم يُغتال عدد من الكتاب على يد جهاز الاستخبارات، وتمنع كل الصحف التي تكتب عما حدث، إلى أن يدرك فقهاء الدين – الذين بدأ استيعابهم يزداد شيئاً فشيئاً – أن الإرهاب فكرة سيئة، لا تعجّل إلا بتآكل النظام. وربما تستمر هذه العملية عقداً آخر. ولكننا شعب صبور. لا نريد سفك الدماء، بل نفضّل أن نحيا في انفصام الشخصية.
الشيزوفرينيا يعاني منها دستور جمهورية إيران الإسلامية أيضا: فهو وثيقة غريبة: من ناحية هناك ديمقراطية برلمانية بكل ما تعنيه من مؤسسات، ومن ناحية أخرى يقف فوق الدستور مجلس حراس الثورة وقائدها الأعلى الذين يتقاسمون مع الله المرجعية العليا. وهؤلاء لم ينتخبهم أحد، لكن الكلمة الأخيرة تبقى لهم دائماً. ولا يقف في طريق حماسهم سوى حسابات السلطة. إلا أنهم أيضا تعلموا الدرس. فصاروا ينحنون أمام العاصفة إذا لم يكن هناك بدّ، محاولين الإمساك بدفة الحكم بيد هادئة، وكما

نرى في التوجه الجديد للسياسة الخارجية الإيرانية. الجميع سعداء بأن البلاد لا تريد التورط في حرب، وهذا موقف يعجب حتى الأغلبية التي سئمت حكم رجال الدين. ففي شوارع طهران ينعم المرء بهدوء تحلم به أوربا.

حوار غير متكافئ

يا له من أمر مستهجن تماماً: أن يكتب الإنسان عن بلد لا يفهم لغته بعد رحلة قام بها في ربوعه. ولكن يمكن للكاتب على الأقل أن يرهف سمعه، ويسجل ما يتناهى إليه.

«دائما تلقون بنا مع العرب في سلة واحدة. الإسلام، الإسلام، الإسلام – لم أعد أطيق سماع هذه الكلمة. إيران بلد عريق تضرب جذوره في أعماق التاريخ قبل أن يأمر الملاك جبريل النبي بتسجيل الوحي. أما القرآن فقد جلبه الفاتحون المسلمون معهم. ما العراق؟ وما الأردن؟ بلاد اخترعتها وزارة الخارجية في لندن! أما نحن فنعرف هويتنا منذ عدة آلاف من السنين.

ولكنكم لا تريدون معرفة ذلك. نشعر تجاه الغرب بحنين لا تبادلوننا إياه. وتفضّل وسائل إعلامكم أن تركز على ما يثير اشمئزازكم.»

من النادر أن يعبر إنسان عن رأيه بهذا الوضوح في إيران مثل هذا الباحث الاجتماعي. ويرجع سبب هذا من ضمن ما يرجع إلى ذلك التهذّب الراقي الذي يصادفه المرء في كل الطبقات والذي ليس له نظير في الغرب.

من يبغي أن يفهم عظمة هذه الثقافة ومأساتها، فعليه ربما أن يهرب من متاهة المناقشات السياسية، ويطالع القصص الإيرانية، أو يستمع إلى الشعر الفارسي، أو يشاهد الأفلام المدهشة التي يبدعها كيروستامي أو مخملباف أو ماجدي؛ إنها تبوح – أكثر من أي جريدة – بالآمال والغضب والإحباط والحيوية التي يشعر بها الشعب الإيراني. من البلاهة أن نتجاهل مجتمعا كهذا. أما من يغلق عينيه ويصم أذنيه – وهو أمر ينطبق على الجانبين – فسرعان ما يغرق في بحر اليأس.

ولد هانز ماغنوس انسنسبيرغر في عام ١٩٢٩، ويعد من أهم شعراء ألمانيا المعاصرين، وهو معروف أيضاً بمقالاته السياسية الاستفزازية.

ترجمة: سمير جريس

كتايون أميربور Katajun Amirpur

السجال الإيراني: الإسلام والحداثة

هل تتسق مبادئ حقوق الإنسان والعلمانية والديمقراطية والتعددية مع الإسلام، تساؤل تطرحه المستشرقة كتايون أميربور. يناقش العلماء المسلمون في إيران بطريقة مفتوحة العلاقة بين الإسلام والحداثة.

منذ سنوات عديدة يقوم الإسلاميون المتطرفون بتفجير أنفسهم أمام أنظارنا وبهذه الطريقة يدخلون وعينا. أمّا المثقفون المسلمون دعاة التنوير والذين يقدمون تفسيراً ليبرالياً للإسلام، فلا أثر لوجودهم في وعي الغرب.

قليل من الاهتمام ينصبّ عليهم فقط عندما يتحولون إلى ضحايا للعنف المتعصب. «الغرب لا يهتم بنا، إلا حينما تتدحرج رؤوسنا» هذا ما قاله بمرارة الكاتب المصري حامل جائزة نوبل للآداب نجيب محفوظ. الصورة السائدة عن الإسلام السياسي في الغرب واضحة، أي أنه يتقدم في كل أنحاء العالم الإسلامي. لكن ثمة مناقشات تدور في العالم الإسلامي حول التوافق بين الإيمان والحداثة.

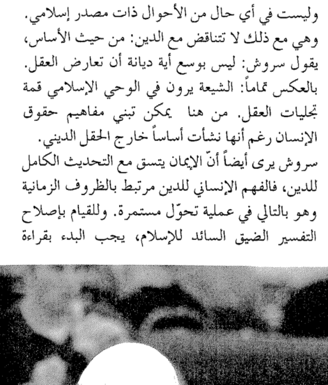
المناقشة الأهم، وهذا هو الغريب في الأمر، تجري في الدولة الأصولية الإسلامية إيران. ففي عام ١٩٧٩ أقدم الإيرانيون على محاولة تطبيق النموذج الإسلامي في بلادهم. الشعار الذي طبق هناك بجدية كان «الإسلام هو الحل». لكن على أرض الواقع ظهر فيما بعد أنّ الإسلام لم يكن الحل: المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بقيت دون حلول. لذلك تمّ تحميل الدين-الحل المنشود - مسؤولية الأخطاء السياسية التي وقعت، فالنظام الإيراني يقوم على وحدة الدين والدولة. من هنا بدأ وعلى غير توقع بعض الإسلاميين السابقين يطالبون بعلمنة الدولة. في البداية كانت هذه المطالبة تقرأ بين سطور كتاباتهم، أما اليوم فإنها لا تني تزداد حدة

ووضوحاً. إنها تُرفع من قادة روحيين ومفكرين وصحافيين وسياسيين يرون في أنفسهم حركة تسعى إلى «تنوير ديني.» لكن ثمة مشكلة مستعصية تظهر في مناقشاتهم. عليهم أن يبينوا لماذا لا تتعارض مطالبتهم بالعلمنة مع الإسلام، بكلام آخر هل بمقدور إنسان يعرِّف نفسه على أنه مسلم، التعايش مع تشريعات علمانية؟

هذه المشكلة تطرح نفسها بإلحاح، لأنّ غالبية التنويريين ذوو ماضٍ إسلامي متطرف. لم يكن معظم المسلمين في التاريخ الإسلامي ينشغلون بالسؤال حول دنيوية السلطة. الفصل بين الدين والدولة - وليس وحدتهما - كان حقيقة تاريخية. ولأنّ الكثيرين من دعاة التنوير أنفسهم أرادوا هذه الوحدة فيما مضى وطبقوها في الثورة الإيرانية، عليهم اليوم أن يبينوا كيف يمكن المضي بدون هذه الوحدة.



محك هذه المناقشة هو السجال الدائر حول مبادئ حقوق الإنسان. لقد رأى فيها مؤسس الجمهورية الإيرانية آية الله الخميني «مجموعة من القواعد الفاسدة، التي وضعتها الصهيونية للقضاء على الأديان الحقيقية». المفكر الإيراني عبد الكريم سروش يرى نقيض ذلك ويعتقد أنّ الدول الإسلامية أيضاً تستطيع أن تبني مفاهيم حقوق الإنسان دون صعوبات. إنه ينطلق من حيث المبدأ من وجود قيم ما فوق دينية. بهذا التناول يتخذ سروش في سياق الجدل الليبرالي الإسلامي موقفاً جديداً كلياً. مفكرون آخرون قبله رأوا أنّ الإسلام يتسق مع مبادئ حقوق الإنسان، لكنهم عللوا هذا الاتساق بالقرآن، بمعنى أنّ هذه المبادئ واردة في القرآن، بل مضوا إلى شوط أبعد حين جعلوا من الإسلام مصدراً لها. هذه الحجة يرفضها سروش. إنه يعارض منطلقاتها، فمبادئ حقوق الإنسان برأيه نتاج العقل البشري فقط



وليست في أي حال من الأحوال ذات مصدر إسلامي. وهي مع ذلك لا تتناقض مع الدين: من حيث الأساس، يقول سروش: ليس بوسع أية ديانة أن تعارض العقل. بالعكس تماماً: الشيعة يرون في الوحي الإسلامي قمة تجليات العقل. من هنا يمكن تبني مفاهيم حقوق الإنسان رغم أنها نشأت أساساً خارج الحقل الديني.

سروش يرى أيضاً أنّ الإيمان يتسق مع التحديث الكامل للدين، فالفهم الإنساني للدين مرتبط بالظروف الزمانية وهو بالتالي في عملية تحوّل مستمرة. وللقيام بإصلاح التفسير الضيق السائد للإسلام، يجب البدء بقراءة جديدة للنصوص القديمة، كلما كان «العقل البشري مقتنعاً بأنّ هذا الحكم أو ذاك من القرآن لا يتسق مع الكرامة الإنسانية» هكذا يكتب سروش.

يتخلى المتدينون الإصلاحيون عن المعتقدات التي لا تتوافق مع كرامة الإنسان. فمعظم المعتقدات ومن ضمنها أركان الإسلام الخمسة، تعتبر «الإطار» الخارجي للدين الذي يحفظ بنيانه الداخلي، وهي بذلك ليست من جوهره. يُعرِّف سروش الشيعي بأنه من يؤمن بعقائد الشيعة الخمس الثابتة: توحيد الله، النبوة، الأئمة الاثني عشر، القيامة، والعدالة الإلهية. ووفق هذا التعليل ليس الحجاب فرضاً دينياً. صحيح أن الإسلام يأمر بغطاء الرأس

لكنه يشجع المرأة إلى ارتدائه دون إكراه. وإذا لم تضع المرأة غطاء الرأس فإنها لن تكون قد أخلّت بجوهر الدين.
مبدأ السلطة في الجمهورية الإيرانية يقوم على نظرية «ولاية الفقيه» التي تعطي الحكم للفقيه الذي يأخذ شرعيته من الله مباشرة وليس من الشعب. وبعد عشرين سنة من التجربة مع دولة غير علمانية تأتي المطالبة اليوم من المفكرين الإيرانيين بدمقرطة النظام. الحكم الدنيوي يتسق مع الإسلام، هذا ما يراه الرمز الروحي محمد شابستاري الذي دلل على ضرورة تطبيق الديمقراطية من فقهه. هذا التطور يحمل مغزى كبيراً للخطاب الإيراني، فبه فقط يستطيع الإصلاحيون الإيرانيون أن يدفعوا عن أنفسهم شبهة الارتباط بالغرب أو التوجيه من الخارج. يؤكد شابستاري أن القرآن يشترط عدالة النظام السياسي - الاجتماعي فقط. والمبادئ الأخلاقية العامة التي يتضمنها القرآن لا تكفي لاستدلال فلسفة الدولة منها، كما يدّعي المحافظون. شابستاري لا يرى في جمع الرسول في شخصه بين القيادة السياسية والروحية حجة ضد مرافعته حول فصل الدين عن الدولة. فهذه الحقيقة تشكل جانباً من التاريخ الإسلامي، لكنها ليست بالضرورة الحقيقة المطلقة. بهذا لا يفنّد شابستاري حجج الأصوليين الإسلاميين فحسب، بل حجج المراقبين الغربيين أيضاً. هؤلاء المراقبون يتبنون حجج المحافظين ويزعمون بأنّ فرض الإسلام الوحدة بين الدين والدولة أمر حتمي ويحيلون ذلك إلى أدلة من عهود الإسلام الأولى.
حجة شابستاري الأساسية في هذه المسألة هي أنّ القرآن قد وضع أصولاً للحكم وليس الشكل المحدد له. إنه يستند في حجته على العهد الذي ضمنه الخليفة علي كتاب تعيينه لواليه على مصر مالك الأشتر في القرن السابع. علي القائد المفوض دينياً يولي على مصر حاكماً دنيوياً وليس دينياً. في عهد علي لواليه إرشادات أخلاقية مبنية على الإسلام لكنّ علياً لا يطالب بتأسيس دولة إسلامية. إنه يؤكد بدلاً من ذلك على الإبقاء على قواعد وتقاليد قديمة أثبتت نجاعتها على أرض الواقع. تكون الدولة إسلامية عندما لا يسود فيها الاضطهاد والطغيان. «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عبادَ الله خصمه دون عباده.» هذا ما جاء في العهد. وبما أنّ القرآن لم يضع نظاماً محدداً للحكم فإنّ بوسع البشر حسب رأي شابستاري أن يقرروا شكل النظام الذي يريدون العيش فيه. شابستاري يطالب بالديمقراطية وحجته الأهم في اختيار النظام الديمقراطي تنهض على الدين. مبدأ الحرية يتحقق في الديمقراطية على أكمل وجه، والعقيدة التي يتبناها الإنسان بحرية هي العقيدة الحقيقية الخالصة التي يرضى الله عنها.
في هذا السياق تندرج كتابات سروش حول موضوع «الإلحاد وحرية الاعتقاد» أيضاً. الجمهورية الإسلامية الإيرانية كحارسة قانون أخلاقي ديني شمولي، تمنح نفسها الحق في ملاحقة الأفكار غير الدينية والهرطوقية، لأنها حسب رأيها تحجب الحقيقة القرآنية. سروش يرى العكس: «أخطأت البشرية وتضررت من النظم التي فرضت عليها الحقيقة بالإكراه أكثر من النظم التي سمحت بارتكاب الأخطاء». فسروش يعي الأخطار التي قد يجلبها مجتمع مفتوح للدين. لكنه يعطي في نظريته حول المجتمع، الملحدين ومنتقدي الدين حق الكلام. وهو يهاجم أعداء الحرية بكلام واضح: «لا تعتقدوا أن دماغكم هو منبع الحقائق وكل ما يصدر عنه هو الحقيقة البحتة.»
رغم أنّ سروش يتبنى مواقف علمانية إلا أنّ حججه تأخذ دائماً طابعاً دينياً. ولأنّ إيمانه مهم في نظره، استنتج من تجربة ٢٢ سنة من الإسلام السياسي الواقعي، أنّه لا بد من الفصل بين الدين والدولة: «المجتمعات الحرة سواء كانت دينية أو غير دينية هي مجتمعات إلهية وإنسانية في الآن ذاته. لكن في المجتمعات الشمولية لا يتبقى شيء، لا الإنسان ولا الإله.»

هذا الخطاب حول الإسلام في زمن الحداثة لا يقتصر على بعض أوساط المثقفين فقط. مجلة «كيان» التي نشر عبد الكريم سروش آراءه فيها زادت مبيعاتها لسنوات عديدة وأكثر قرائها كانوا من الطلاب. لكنها منعت فيما بعد. كتب التنويريين تقرأ وتناقش في المعاهد الفقهية في إيران. هذه المعاهد التي تخرج في الأصل كوادر النظام أضحت منابر لطرح الأفكار التقدمية. لا يتعلم الطلاب فيها العلوم القرآنية فحسب، بل معارف حول مناهج تأويل ونقد النصوص، وفق كتابات دعاة التنوير. يتناقش الملاهات الشباب عبر هذا التعليم حول مسائل حقوق الإنسان ومفهوم الدولة ودور المرأة في الإسلام. إنهم لا يقبلون التفسير الرسمي للقرآن بل يطوّرون بدائل جديدة لقراءة النصوص.

يحظى دعاة تنوير آخرون بنفوذ متزايد في الحياة السياسة اليومية. عالم الاجتماع أكبر غانجي - من تلاميذ سروش - اشتهر كصحفي قام في السنتين الماضيتين بكشف مؤامرات لكبار المحافظين الإيرانيين. وهو وراء مصطلح «الفاشية الدينية» الذي تبناه رئيس الدولة المعتدل محمد خاتمي. يرى غانجي أنّ الفاشية الدينية لا تقبل «المفهوم الإنساني للدين وترى في الإنسان عبداً للحاكم وتفصل الدين عن العقل، كما أنها عدوانية ومتعصبة ومتزمتة في الدين.» وفي نظر غانجي فإنّ أنصار هذه الحركة يقفون وراء الاعتداءات بالضرب التي طاولت المثقفين الانتقاديين والنساء غير المحجبات، ومنهم أيضاً من يشجع هذه الأعمال في الدولة.

من ينطق بهذا الكلام في الجمهورية الإسلامية قد يعرض نفسه للخطر. حُكم على غانجي قبل أشهر بعدة سنوات سجن، كما اقتحمت مجموعات من الرجال المسلحين عدة مرات القاعات التي يلقي فيها سروش محاضراته وهددوه بالموت. محسن كاديوار، داعية آخر للتنوير حكم عليه قبل سنتين بثمانية عشر شهراً بالسجن لأنه انتقد عقيدة الدولة في الجمهورية الإسلامية. هذا الحكم حوّله إلى بطل للحركة الطلابية. فحيثما يظهر يقابل بتصفيق حاد حتى لو كان مستمعاً في حلقة نقاش.

قد يكون السجال الإيراني مرشداً

أسماء وأفكار الإصلاحيين باتت معروفة لدى الشعب وخصوصاً عند الشباب. هذا ليس مستغرباً، فدعاة التنوير يستخدمون في المحاضرات والخطب كلمات واضحة. «لا يمكن دفع إنسان لقبول دين قسراً»، هذا ما قاله عبد الله نوري، نائب رئيس الدولة، والشخصية المهمة في الحركة الإصلاحية، قبل سنتين أمام آلاف الطلاب المتحمسين في جامعة طهران. «إذا أكرهت الناس فلن يعود الدين ديناً.» وقبل هذا الخطاب بأيام طالب نوري أمام جمهور كبير في قم، المركز الفقهي لإيران، بالتعددية في المسائل الدينية والسياسية، ودعا الجمهورية الإسلامية أن تحذو حذو أوروبا. «رجال الدين الأوربيون في القرون الوسطى عملوا كل ما في وسعهم للحد من حرية الرأي، أما اليوم فالديمقراطيات الأوروبية تُواصل التقليد الإسلامي في التعددية والديمقراطية.» بعد هذا الكلام تدخلت العناصر المشاغبة وفرقت التجمع. حُكِم على نوري بالسجن خمس سنوات بعد فترة قصيرة من إلقائه لهذا الخطاب. لكنه تمكن من إيصال انتقاداته إلى جمهور عريض من الشعب الايراني عبر شاشة التلفزيون الرسمي حيث تم نقل وقائع محاكمته على الهواء مباشرة إلى أن تنبه المسؤولون إلى خطورة كلام نوري فأوقفوا النقل.

السجال الايراني يدور باللغة الفارسية مما يعقد إيصاله إلى العرب، علاوة على أنّ بعض الحجج في النقاش الشيعي لا تتسق مع الإسلام السني. مع ذلك يلقى النقاش الإيراني حول الدين والحداثة صدى واسعاً في بقية أجزاء العالم الإسلامي، لأنّ أنظار المؤمنين تتجه إلى إيران منذ قيام الثورة الإيرانية. لقد ترجمت كتب بعض الإصلاحيين إلى اللغة العربية، كما أنّ المثقفين من الجانبين يتقابلون في مؤتمرات وندوات مشتركة. لكن يبقى السؤال فيما إذا كانت أفكار التنويريين الإيرانيين تصل إلى شرائح واسعة في العالم العربي، دون جواب. كل مواطن في الجمهورية الإسلامية الإيرانية راكم خبرات مرة مع الإسلام السياسي، فالتصالح بين الإسلام والحداثة بات أمراً ملحاً أكثر في إيران مما هو عليه في العالم العربي. هذا السجال دليل على وجود محاولات عديدة لتفسير جديد للإسلام. فالإسلام والحداثة يمكن أن يتسقا. ومن المفيد متابعة السجال الايراني لمواجهة الحجة المبسطة الدائمة للكثير من المسلمين ومنتقدي الإسلام في الآن ذاته، الذين يكررون في كل مناسبة: هذا ما نص عليه القرآن، أو هذا لم يرد في القرآن إلخ... وبما أنّ تفسيرات حديثة للإسلام أخذت في الظهور حتى في دولة الله، فلم لا تصدر مثل هذه التفسيرات بين مسلمي أوروبا؟ قد يكون السجال الايراني مرشداً لنا لمعرفة إلى أي حد يمكن أن يكون الإسلام موضع مناقشة.

كاتبة وصحافية من إيران تعيش في المانيا، قدمت أطروحة دكتوراه عن أفكار الفيلسوف الإيراني عبد الكريم سروش.

ترجمة: أحمد حسو

يورغن هابرماس Jürgen Habermas

الإيمان والعِلم

إذا انتزع منا الحدثُ الراهن المقبض اختيارَ الموضوع، فإن الإغراء سيكون كبيراً بأن نتنافس والمثقفين بيننا الذين يتشبهون بجون واين (John Wayne) حول الطلقة الأولى. لقد اختلف المفكرون فيما بينهم حتى أجل ليس ببعيد حول موضوع آخر - حول السؤال عما إذا كان يجوز لنا أن نخضع للتشييء الذاتي من خلال تقنية الجينات وإلى أي حد يكون ذلك، أو إذا كان يجوز لنا مطلقاً أن نتبع هدف التحسين الذاتي. وسبق أن اتقد نزاعٌ بين المتكلمين باسم العِلم المنظم من جهة والكنائس من جهة أخرى، هو نزاع قوى الإيمان حول الخطوات الأولى على هذه الدرب.

الجهة الأولى خافت من الإبهام ومن تسوير مشكك بالعِلم لبقايا شعورٍ أثرية، فيما اعترضت الجهة الأخرى على إيمان عِلْمَويٍ بالتقدم، خاصٍ بمذهب طبيعي فظ، يدفن الأخلاق. لكن التوتر القائمَ بين المجتمع العلماني والدين انفجر في ١١ أيلول/سبتمبر على شكل آخر. إن القتلة الذين وطدوا العزم على الانتحار وحوّلوا وسائل النقل المدنية إلى قذائف حية، وجهوها ضد القلاع الرأسمالية الخاصة بالمدنية الغربية، كانوا مدفوعين بمعتقدات دينية، كما علمنا لاحقاً من وصية محمد عطا ومن أقوال أسامة بن لادن. فالمعالم المميِّزة للحداثة المعولَمة تجسِّد بالنسبة لهم الشيطان الأكبر. صورٌ من الكتاب المقدس فرضت نفسها أيضاً علينا، نحن الشهود العيان العالميين على حدثٍ «رؤيوي» عبر شاشات التلفزيون، أثناء التفرّج المازوخي المتكرِّر على تحطم برجي مَنهاتن التوأمين. أما لغة الانتقام، التي لم يستعملها الرئيس الأمريكي وحده للرّد على ما لا يمكن استيعابه، فكان لها أيضاً رنينٌ من العهد القديم. ما إن حرّك الاعتداء الأعمى البصيرة وتراً دينياً في صميم المجتمع العلماني، حتى امتلأت الكنائس اليهودية والمسيحية والمساجد بالمصلّين. هذا التوافق الدفين لم يدفع الجماعة المدنية الدينية المشاركة في الجناز الذي أقيم في ملعب نيويورك قبل ثلاثة أسابيع إلى الشطط في اتجاه موقف حقد متماثل: فرغم كل الولاء الوطني، لم يعلُ صوت واحدٌ يدعو إلى التجاوز الحربي لقانون الجزاء القومي.

إن الأصولية هي، رغم لغتها الدينية، ظاهرة حديثة حصراً. وقد لفت النظر في الجُناة المسلمين عدم التزامن الحاصل بين الدوافع والوسائل. هذا يعكس عدم التزامن الموجود بين الثقافة والمجتمع في بلدان الجُناة والذي قام نتيجة تحديث مسَرَّع يستأصل الجذور بشكل متطرِّف. ما تسنى لنا نحن، تحت ظروف أفضل، أن نختبره كعملية هدمٍ خلاق لا يعد هناك بأي تعويضٍ عن الألم الناتج من تداعي أشكال الحياة التقليدية. وما الوعد بتحسين ظروف الحياة المادية إلا أمر واحد فقط. ما هو حاسم في هذا السياق، هو التحوّل الفكري المعطَّل بواسطة مشاعر الإذلال، والذي يعبِّر عن نفسه سياسياً بالفصل بين الدين والدولة. حتى في أوروبا التي أفسح لها التاريخ بقرونٍ لتجد موقفاً حساساً تجاه رأس الحداثة ذي الوجهين، ما زالت «العولمة» مشغولة بمشاعر غامضة كما يُظهِر النقاش الدائر حول تقنية الجينات.

ثمة مواقف تقليدية متصلِّبة في الغرب كما في الشرق الأدنى والشرق الأقصى، في صفوف المسيحيين واليهود كما في صفوف المسلمين. من يبغي تجنب حربٍ بين الحضارات عليه أن يتذكّر الجدلية التي لم تنتهي بعد، أعني الجدلية الخاصة بعملية العلمنة الغربية. «الحرب ضد الإرهاب» ليست حرباً، وفي الإرهاب ينطق الصدام الفاقد اللغة بشكل مهلِك، والجاري بين عوالم يجب أن تطور لغة مشتركة بعيداً عن عنف الإرهابيين والصواريخ الأبكمِ، على حد سواء. الكثيرون منا يرجون، نظراً إلى علمنة تفرض نفسها بواسطة الأسواق المتجاوزة حدودَها، عودة السياسي في شكلٍ آخر - ليس في الشكل الأصلي الهوبسي، شكل دولة الأمن العولمية، أي في أبعاد الشرطة والمخابرات والعسكر، بل في شكل قوة تشكيلٍ مُمَدِّنة عالمية الأثر. لا يبقى لنا في اللحظة الراهنة أكثر من الرجاء الضعيف بحيلة العقل - وشيءٌ من التمعن. فصَدْعُ فقدانِ اللغة ذاك يسبب انقسام البيت الواحد على نفسه.

ولن نستطيع أن نقدِّر مخاطر علمنة انزلقت عن مسارها في أماكن أخرى تقديراً سليماً، إلا إذا اتضح لنا ماذا تعني العلمنة في مجتمعاتنا ما - بعد - العلمانية. هذا هو غرضي إذ أتناول الموضوع القديم «الإيمان والعِلم» من جديد. لا تنتظروا إذاً «خطبة يوم أحدٍ»، تقسم السامعين إلى قطبين، فتدع بعضهم يقفز من مكانه وبعضهم الآخر جالساً.

العلمنة في المجتمع ما ـ بعد ـ العلماني

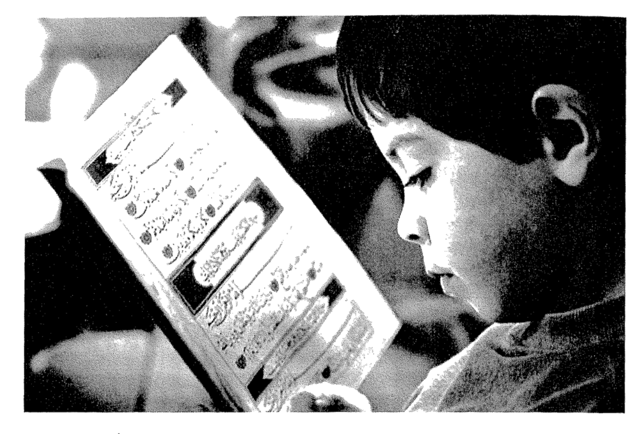
كان لكلمة «علمنة» أولاً معنى قانوني هو معنى نقلِ ملكية أملاك الكنيسة المفروضِ بالقوة إلى سلطة الدولة العلمانية. وقد استُعمِلَ هذا المعنى تجاوزاً لنشوء الحداثة الثقافية والاجتماعية بأسرها. منذ ذلك الحين ترتبط «بالعلمنة» تقييماتٌ متناقضة بحسب تركيزنا إما على التدجين الناجح للسلطة الكنسية بواسطة السلطة العالمية أو على عملية الاستيلاء المنافي للقانون. بحسب إحدى هاتين القراءتين تحل نظائر عقلية متفوقة في كل الأحوال محل أشكال حياة وطرق تفكير دينية؛ أما بحسب القراءة الأخرى فتُنبَذ أشكال الحياة والتفكير الحديثة بوصفها أملاكاً مسلوبة بطريقة غير مشروعة. نموذج الكبت يوعز بتفسير متفائل بالتقدّم للحداثة التي نُزِع سحرُها، فيما يوعز نموذج نزع الملكية بتفسيرٍ خاص بالنظرية القائلة بتداعي الحداثة المشرَّدة. وترتكب القراءتان الغلطة نفسها باعتبارهما العلمنة نوعاً من لعبة نتيجتها الصفر، تلعبها قوى التقنية والعِلم المنتجة، المطلَقة رأسمالياً من عقالاتها من جهة، وقوى الدين والكنيسة المحافظةُ من جهة أخرى. ولا بُدَّ من أن يربح طرفٌ على حساب الطرف الآخر وذلك بحسب قواعد اللعب الليبرالية التي هي لصالح القوى الدافعة الخاصة بالحداثة.

لا تناسب هذه الصورة مجتمعاً، هو في طور ما ـ بعد ـ العلمانية، وطَّن النفس على استمرار الجماعات الدينية في وسط محيط يتعلمَن باطراد. ويُغيِّبُ الدورُ المتمَدِّن الذي يقوم به عقل عمومي سليم (Commonsense) مُنَوَّر ديمقراطياً، يشق دربه وسط ضجيج الصراع الحضاري وكأنه طرف ثالث بين العلم والدين. من وجهة نظر الدولة الليبرالية، لا يستحق من الأديان صفة «العاقل» إلا الدين الذي يتخلى بسبب تعقله الذاتي عن الفرض القسري لما يؤمن به من حقائق، وعن الإجبار العنفي للضمير الذي يمارَس تجاه المنتمين إليه، وبالدرجة الأولى عن استعمالهم للقيام بعمليات انتحارية. تلك الفكرة تدين بوجودها لتأمل مثلَّث يقوم به المؤمنون، متأمِّلين موقفهم في مجتمع تعدُّدي. فعلى الوعي الديني أن يعالج أولاً اللقاء المختلف معرفياً مع مذاهب أخرى وأديان أخرى. ويجب عليه ثانياً أن يقبل سلطة العلوم التي تمتلك في المجتمع احتكارَ معرفة العالم. ويجب عليه أخيراً أن يقبل المقدِّمات المنطقية الخاصة بالدولة الدستورية، هذه المقدمات التي تنبثق من أخلاق غير دينية. من دون هذا الدفع التأملي تفجِّر الأديان التوحيدية طاقةً هدّامة في مجتمعات مُحدَّثة بلا رحمة. كلمة «دفع تأملي» توحي طبعاً بالتصوُّر غير الصحيح، تصوُّر عمليةٍ جرت واختتمت من ناحية واحدة فقط. أما بالفعل فإن هذا العمل التأملي يحصل من جديد لدى كل صراع ينفجر في مراكز التبادل الخاصة بالرأي العام الديموقراطي.

حالما يصل سؤال مهم وجودياً إلى جدول الأعمال السياسي يصطدم المواطنون، مؤمنين وغير مؤمنين، بعضهم ببعض، حاملين معتقداتهم المشرَّبة برؤية العالم، ويختبرون الحدَثَ المُعثِر الخاص بتعددية رؤى العالم، فيما هم يكدحون عاملين على الاختلافات الحادة الخاصة بصراع الآراء العلني. إذا تعلموا، وهم يعون أنهم أيضاً معرضون لارتكاب الأخطاء، كيف يتعاملون مع هذا الحدث بلا عنف، أي من دون أن يمزقوا الرباط الاجتماعي الخاص بالكيان السياسي العام، إذا تعلموا ذلك، عرفوا ماذا تعني أسس القرار العلمانية في المجتمع ما ـ بعد ـ العلماني المثبَتة في الدستور. في النزاع القائم بين تطلبات العلم وتطلبات الايمان لا تحكم الدولة الحيادية فيما يتعلق بالنظرة إلى العالم مسبقاً على قراراتٍ سياسية لمصلحة أي من الجهتين. فالعقل المتعدِّد الذي لجمهور المواطنين لا يتبع دينامية العلمنة إلا بمقدار ما يجبر بالنتيجة على اتخاذ مسافة متساوية من تقاليد قوية ومضامين تتعلق بالنظرة إلى العالم. هذا العقل يحافظ على قدرته على التعلّم، من دون أن يضحي باستقلاليته منفتحاً تجاه الجهتين معاً بتناضح.

التنوير العلمي للعقل العمومي السليم

من الطبيعي أن يتنور العقل العمومي السليم، الذي تعتريه أوهام كثيرة حول العالم، من العلوم بلا تحفُّظ. لكن النظريات العلمية التي تقتحم عالم الحياة لا تمس في العمق إطار معرفتنا اليومية الذي يتشابك والفهم الذاتي الخاص بأشخاص قادرين على الكلام والتصرّف. حين نتعلم شيئاً جديداً عن العالم وعن أنفسنا ككائنات في العالم يتغير مضمون فهمنا الذاتي. وقد قلب كوبرنيك وداروين صورة العالم التي كانت تتمركز حول الأرض وحول الإنسان رأساً على عقب. تخريب الوهم الفلكي فيما يتعلق بمدار النجوم ترك في عالم الحياة آثاراً أقل مما تركه نزع الوهم البيولوجي فيما يتعلق بمكانة الانسان في تاريخ الطبيعة. ويبدو أن المعارف العلمية تزعج فهمنا الذاتي بقدرٍ أكبر كلما اقتربت منا. الأبحاث الدماغية تعلِّمنا ما يتعلق بفيزيولوجيا وعينا. لكن هل يؤدي هذا الى أن يتغير ذاك الوعي الحدسي، وعي الإنشاء والتمييز الذي يرافق كل تصرفاتنا؟ إذا وجهنا النظر مع ماكس فيبر(Max Weber) إلى بدايات «نزع السحر عن العالم»، رأينا ما هو معرّض



للخطر. فالطبيعة تفقد شخصانيتها بالقدر نفسه الذي تنفتح فيه على التأمل الموضّع والتوضيح السببي. وتخرج الطبيعة التي تُبحث علمياً خارج نطاق نسق العلاقات الاجتماعي المؤلَّف من أشخاص يعيشون ويتكالمون ويتصرفون، بعضهم تجاه بعض، وينسب بعضهم إلى بعض أغراضاً ودوافع. ماذا سيصبح مصير هؤلاء الأشخاص إذا خضعوا هم أنفسهم، شيئاً فشيئاً، لأوصاف العلوم الطبيعية؟ هل سيتوقف العقل العمومي السليم (Commonsense) في النهاية عن أن يحصِّل المعرفة من عِلم العلوم المضاد للحدس ويستهلكُ نفسه بجلده وعظمه؟ لقد طرح الفيلسوف وِنفرِد سلَّرز (Winfrid Sellars) هذا السؤال عام ١٩٦٠ (في محاضرة شهيرة حول «الفلسفة والصورة العلمية للإنسان») وأجاب عليه بواسطة سيناريو مجتمع تعطلت فيه الألعاب اللغوية القديمة الطراز الخاصة بحياتنا اليومية لصالح وصف موضّع لعمليات الوعي.

يصبُّ تحييدُ العقل هذا في نقطة واحدة هي صورة علمية للإنسان مرسومة بمفاهيم امتدادية من الفيزياء وعلم وظائف الأعصاب أو نظرية التطور، هذه الصورة التي تنزع عن فهمنا الذاتي طابعه الاجتماعي تماماً. وليس لذلك أن ينجح إلا إذا انصبَّت مرادية الوعي الانساني ومعيارية تصرفنا كاملةً في وصفٍ ذاتي من ذلك النوع. يجب على النظريات اللازمة أن توضح مثلاً كيف يستطيع الأشخاص أن يتبعوا قواعد ـ نحوية أو مفهومية أو أخلاقية ـ أو أن يخرقوها. أساء تلاميذ سلرز فهم التجربة الفكرية الاحراجية التي قام بها معلمهم فجعلوا منها برنامج بحث. وقد أدت خطةٌ لتحديث علم النفس اليومي استنادا الى العلوم الطبيعية حتى إلى محاولات إنشاء علم دلالة يود أن يُوضح المضامين الفكرية بطريقة علمية. حتى هذه البدايات الأكثر رقياً تبدو مهددة بالفشل لأن مفهوم موافقة الهدف الذي نُدخله في اللعبة اللغوية الدارونية المؤلفة من التحوّل والتأقلّم والاختيار والبقاء يفتقر إلى ما يؤهله للوصول إلى الاختلاف الموجود بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، ذلك الاختلاف الذي نعنيه إذا خرقنا القواعد ـ سواء إذا استعملنا مُسنداً بشكل خاطئ أو إذا خرقنا وصيةً خلقية.

حين يصف المرء كيف أن شخصاً فعل شيئاً ما، ما لم يُرده وما كان ينبغي عليه ألا يفعله، فالمرء يصف الشخص ـ لكنه لا يصفه كموضوع للعلوم الطبيعية. ففي وصفنا للاشخاص تدخل بصمتٍ عناصر الفهم الذاتي ما قبل العلمي الخاص بذواتٍ قادرة على النطق والتصرّف. وحين نصف حدثاً ما أنه تصرّف شخص، نعرف على سبيل المثال أننا نصف ما لا يمكن إيضاحه كأي حدث طبيعي، بل يمكن عند الضرورة تبريره أيضاً. في الخلفية توجد إذاً صورة أشخاص يمكنهم أن يحاسب بعضهم بعضاً، وهم متورِّطون منذ الأصل في تفاعلات منظَّمة معيارياً، ويتلاقون في عالم من الدوافع المعلَن عنها.

هذا المنظار الذي يُصطحَب في الحياة اليومية يوضح الفرق بين لعبة التبرير الكلامية ولعبة الوصف المجرّد. في هذه الثنائية تجد استراتيجياتُ الايضاح غير المحجِّمة حدَّها أيضاً. هذه الاستراتيجيات الايضاحية تقوم أيضاً بعمليات وصفية من خلال منظار المراقب الذي لا يدع

نفسه ينضم أو يخضع، من دون إجبار، إلى منظار المشتركين في وعينا اليومي(هذا المنظار الذي يتغذى منه أيضاً التبرير الذي يمارسه البحث العلمي). إننا نوجه النظر في علاقاتنا اليومية إلى مخاطَبين نخاطبهم بكلمة «أنت». فقط هذا الموقف تجاه الأشخاص المُخاطَبين يسمح لنا بأن نفهم «النعم» و «اللا» التي يتلفظ بها الآخرون، وأن نفهم المواقف القابلة للنقد التي يدين بها بعضنا لبعض ويتوقعها بعضنا من البعض الآخر. هذا الوعي لكون المرء صاحب قول وتصرّف يمكن أن يُحاسب عليه هو نواة فهمٍ ذاتي، ينفتح أمام منظار المُشارِك وينغلق في وجه مراقبة علمية مراجِعة. الايمان العلمي المبالَغ به في علمٍ، لا يُكمل يوماً ما الفهمَ الذاتي الشخصي بواسطة وصفٍ ذاتي موضِّع فقط، بل يحلّ محلَّه، ليس علماً، إنما هو فلسفة سيئة. وما من علم سيتولى، على سبيل المثال، عن العقل العمومي السليم المنوَّر علمياً تقييمَ كيفيةِ تعاملنا مع الحياة الانسانية ما قبل الشخصية في ضوء أوصاف تزودنا بها بيولوجيا الجزيئيات التي تجعل تدخلات تقنية الجينات ممكنة.

ترجمة تعاونية للمضامين الدينية

يتشابك العقل العمومي السليم إذاً ووعيَ أشخاصٍ يستطيعون أن يتخذوا المبادرات ويرتكبوا الأخطاء ويصحّحوها. ويثبت العقل العمومي السليم تجاه العلوم بنية منظارية خاصة. هذا الوعي السيادي نفسه الذي لا يمكن الامساك به بحسب المذهب الطبيعي يبرهن من الجهة الأخرى المسافةَ القائمة بينه وبين تقليدٍ ديني، نتغذى من مضامينه المعيارية. ويبدو أن التنوير العلمي بدوره، إذ يتطلّب براهين عقلية، يكسب إلى جانبه عقلاً عمومياً سليماً، اتخذ مكاناً له في صرح دولة الدستور الديمقراطية الذي بني بوسائل القانون العقلي. حتى القانون العقلي الداعي إلى المساواة هو ذو جذورٍ دينية ـ جذورٍ في ذاك التغيير الثوري في طريقة التفكير الذي يتطابق ونشوء الأديان الكبرى. لكن هذه الشرعية القانونية العقلية الخاصة بالقانون والسياسة تتغذى من مصادر التقليد الديني التي صارت دنيوية منذ زمن طويل. ويصرّ العقل العمومي السليم المنوَّر ديمقراطياً تجاه الدين على أسباب، لا يقبلها فقط المنتمون إلى جماعة إيمانية واحدة. لهذا السبب توقظ الدولة الليبرالية لدى المؤمنين الريبة بأن العلمنة الغربية شارع ذو اتجاه واحد فقط، يهمّش الدين.

إن الجانب الآخر من الحرية الدينية هو بالفعل تحويل التعددية في النظرة إلى العالم إلى نزعة سلمية وتحميلُها أعباء غير متساوية. ولا تحمِّل الدولة الليبرالية المؤمنين من مواطنيها حتى الآن إلا عبء تقسيم هويتهم إلى خاصة وعامة. هؤلاء المواطنون هم الذين ينبغي عليهم أن يترجموا معتقداتهم الدينية إلى لغة علمانية قبل أن يُرجى لحججهم أن تحظى بموافقة الأكثريات. هكذا يحاول اليوم الكاثوليك والبروتستانت، حين ينسبون إلى البويضة الملقّحة خارج رحم الأم وضعَ من يحمل حقوقاً أساسية، (وربما كانت محاولتهم هذه محاولة متسرِّعة) أن يترجموا كون المخلوق الإنساني على صورة الله ومثاله إلى لغة الدستور العلمانية. ولن يؤدي البحث عن أسباب، تهدف إلى الحصول على قبول عام، إلى إقصاء غير عادل للدين خارج الرأي العام، ولن يؤدي الى قطع المجتمع العلماني عن مصادر هامة لخلق المعنى إلا إذا احتفظ الجانب العلماني أيضاً بتحسس للقوة التعبيرية التي تحوزها اللغات الدينية. الحدود بين الأسباب العلمانية والدينية هي في كل الأحوال غير واضحة. لذلك ينبغي أن يُعتَبَر وضع الحدود المتنازع عليها مهمة تعاونية، تُلزِم كلا الجهتين باتخاذ منظار الجهة الأخرى.

لا يجوز للسياسة الليبرالية أن تدفع بالنزاع الدائر حول الفهم الذاتي العلماني الخاص بالمجتمع إلى خارج نطاقها، أي أن تطرده إلى رؤوس المؤمنين. فالعقل العمومي السليم المنوَّر ديمقراطياً ليس مفرداً، بل يصف التكوين الذهني لرأي عام كثير الأصوات. ولا يجوز للأكثريات العلمانية أن تتخذ قرارات في مسائل كهذه، قبل أن تصغي إلى اعتراض المعترِضين الذين يشعرون بأن مشاعرهم الايمانية قد جُرِحت؛ يجب على الأكثريات العلمانية أن تعتبر هذا الاعتراض نوعاً من الفيتو المؤجِّل، الذي يسمح لها بأن تفحص عمّا يمكنها أن تتعلم منه.

وينبغي على الدولة الليبرالية، بالنظر إلى المنشأ الديني لقواعدها الأخلاقية، أن تحسب حساب إمكانية ألا تلحق «ثقافة العقل الإنساني العام» (هيغل Hegel) بمستوى التعبير الخاص بتاريخ نشوئها، وذلك نظراً إلى التحديات الجديدة. إن لغة السوق تتسرّب اليوم عبر كل المسام وتعصر كل العلاقات الإنسانية في رسمٍ بياني خاص بالتوجه الذاتي المرجع نحو الأولويات الخاصة. لكن الرباط الاجتماعي الذي يحاك من الاعتراف المتبادل لا يعبر عن نفسه في مفاهيم العقود والاختيار العقلي ومضاعفة الفوائد إلى أقصى حد.

لذلك لم يشأ كانط (Kant) أن يدع الواجب القاطع يختفي في دوامة المصلحة الذاتية المنوَّرة، فوسَّع حرية العبث جاعلاً منها سيادةً وأعطى بذلك ـ بعد الميتافيزياء ـ أول مثل كبير حول تفكيكٍ لحقائق الايمان، علمانيٍ ومنقذٍ في الوقت نفسه. لدى كانط تجد سلطة الوصايا

الإلهية صدىً، لا يمكن عدم سماعه، في الاعتبار المطلَق في الواجبات الأخلاقية. وهو يحطِّم بمفهوم السيادة الذي أتى به التصورَ التقليدي لبنوة الإنسان لله. لكنه يستبق النتائج التافهة لانكماشٍ مفرَّغ بواسطة تحويلٍ نقدي للمضمون الديني. ربما بدت محاولته اللاحقة، أي ترجمة الشر المتطرِّف من اللغة الكتابية إلى لغة الدين العقلي، بالنسبة لنا غير مقنعة كثيراً. فالتعامل غير المعوق مع هذا الإرث الكتابي يُظهِر لنا اليوم مجدداً أننا ما زلنا نفتقد حتى الآن مفهوماً مناسباً يعبّر عن الفرق الدلالي بين ما هو خطأ خلقياً وما هو شرٌّ في العمق. الشيطان غير موجود، لكن رئيس الملائكة الساقط ما زال ينشر السوء كما من قبل - في الخير المعكوس في العمل الوحشي، وأيضاً في رغبة الانتقام غير المكبوحة التي تقتفي أثر الفعل. إن اللغات العلمانية التي تحذف فقط ما كان معنياً سابقاً لا تترك إلا ضلالات. لقد ضاع ما ضاع حين تحولت الخطيئة إلى ذنب، والمعصية تجاه الوصايا الإلهية إلى خرق للقوانين البشرية. فما زال يرتبط بتمني المسامحة التمني غير العاطفي بإزالة ما أُلحِق بالآخرين من الألم. وما يقلقنا حقاً إنما هو عدم إمكانية استعادة الألم الماضي - ذلك الظلم الذي مورس بحق المعذَّبين والمدوسة كرامتهم والمقتولين الأبرياء، ذلك الظلم الذي يتجاوز كل حدود التعويض الذي يستطيعه البشر.فقدانُ الرجاء بالقيامة يترك فراغاً محسوساً. إن شكَّ هوركهايمر (Horkheimer) المشروع تجاه رجاء بنيامين (Benjamin) الفائض بالقوة المعوِّضة الخاصة - «إن المقتولين ضرباً قد قُتِلوا فعلا» - لا ينفي النبض الضعيف الحامل إمكانية تغيير شيءٍ في ما هو غير متحوِّل. إن تبادل الرسائل تم بين بنيامين وهوركهايمر في ربيع ١٩٣٧. كلاهما، النبضُ الحقيقي وضعفه معاً، استمرَّ وجودُهما بعد الهولوكُست في ممارسة ضرورية ولا خلاص فيها على حدٍّ سواء «لمعالجة الماضي» (أدورنو Adorno) وما من شيء آخر سوى ذلك يظهر في الشكوى المتضخمة الناتجة عما يتعدى المناسب في هذه المناسبة. ويبدو أن أبناء الحداثة وبناتها غير المؤمنين يؤمنون في لحظات كهذه بأنهم مدينون بعضُهم لبعض، وأنهم محتاجون إلى أكثر مما يطلعون عليه بواسطة الترجمة من التراث الديني - وكأن الطاقات الدلالية في هذا التراث لم تُستنفَد بعد.

النزاع الموروث بين الفلسفة والدين

قد يُفهَم تاريخُ الفلسفة الالمانية ابتداءً من كانط محاكمةً تتم فيها مناقشة هذه العلاقات الوراثية غير الواضحة. إن تَهلين المسيحية [جعلها هلينية، اي يونانية. المعرِّب] أدى إلى اقتران الدين والميتافيزياء. أما كانط فحلّ هذا الاقتران مجدداً. فهو يضع حداً واضحاً بين الايمان الأخلاقي الخاص بدين العقل والإيمان الوضعي بالوحي، هذا الإيمان الذي ساهم في تحسين النفوس، لكنه أصبح «بما أُلحِق به وبقوانينه وبطاعة القوانين الرهبانية [...] في النهاية قيداً» (Kant). اعتبر هيغل أن هذا القول ليس إلا «عقائدية التنوير» الصافية. هو يسخر بالنصر الظاهري الذي حصل عليه العقل الذي يشبه البرابرة المنتصرين الذين يسقطون ضحية روح الأمة التي تغلبوا عليها. ووجه الشبه الذي يراه هيغل في هذا السياق هو أن العقل لا يحتفظ «بالهيمنة إلا بحسب السيطرة الظاهرية فقط» (Hegel). ويحل العقلُ المستولي محلَّ العقل الذي يضع الحدود. هيغل يجعل من موت ابن الله على الصليب مركزَ فكره الذي يريد أن يضمّ اليه شكلَ المسيحية الوضعي. تجسّدُ الله يرمز إلى حياة العقل الفلسفي. والمطلق يجب أن يخلي نفسه للآخر لأنه لا يختبر القوة المطلقة إلا إذا خرج من جديد من سلبية التحديد الذاتي المؤلِمة. هكذا تُرفَع المضامين الدينية في شكل المفهوم الفلسفي. لكن هيغل يضحّي بالبُعد المستقبلي للتاريخ الخلاصي من أجل عملية عالمية تدور في ذاتها.

ينقطع تلاميذ هيغل عن قدرية هذه النظرة المسبَقة التي لا عزاء فيها والتي تتجه نحو عودة المثل الأبدية. هم لا يريدون رفع الدين في الفكر، بل تحقيق مضامين الدين المُحَوَّلة إلى مضامين دنيوية بواسطة الجهد التضامني. هذه الرغبة الشديدة في تحقيقٍ نازعٍ للسمو لملكوت الله على الأرض يتضمنها نقد الدين من فويرباخ وماركس إلى بلوخ وبنيامين وأدورنو: «لا يبقى شيءٌ من المضمون اللاهوتي غير متحوِّل؛ كل مضمون يجب أن يخضع للتجربة بأن يهاجر إلى العلماني، إلى الدنيوي»(Adorno) إن المسار التاريخي أظهر بالطبع في هذه الأثناء أن العقل أرهق نفسه بمشروع كهذا. ولأن العقل الذي أرهقه الإجهاد على هذا الشكل يئس من نفسه، ضَمِنَ أدورنو لنفسه، حتى ولو كان ذلك بغرض منهجي فقط، المساعدة من الموقع المسياني (الخلاصي): «ليس في المعرفة من نور إلا النور الذي يشرق على العالم من الخلاص» (Adorno). ينطبق على أدورنو القائل هذا القولُ الذي صكّه هوركهايمر للنظرية النقدية بأسرها: «هي تعرف أن الله غير موجود، لكنها تؤمن به رغم ذلك» (Horkheimer) جاك دريدا يمثّل اليوم، تحت أثر مقدمات منطقية أخرى، موقعاً مماثلاً - وهو من هذه الناحية أيضاً يستحق أن يحمل جائزة أدورنو. فهو يريد

أن يحتفظ من المسيانية فقط «بالمسيانيّ المتقشّف الذي يجب أن يخلع عنه كل شيء» (J. Derrida)

إن المنطقة الفاصلة بين الفلسفة والدين هي بالطبع أرضٌ مزروعة بالألغام. فالعقل الذي ينفي نفسه يسقط بسهولة في الإغراء بأن يستعير فقط سلطةَ مقدسٍ، صار مجهولاً فاقد المضمون وإشارتَه. لدى هايدغر يتحول تركيز الفكر في الصلاة إلى تذكّر. لكننا لا نكتسب فكرة جديدة، إذا ما تبخّر اليوم الأخير في تاريخ الخلاص وصار حدثاً غير محدَّد في تاريخ الكينونة. وإذا كان على ما ـ بعد ـ الإنسانية أن تتحقق في العودة إلى البدايات الأثرية قبل المسيح وقبل سقراط، فحينئذ تدق ساعة الفن الديني الرخيص. آنذاك تفتح متاجر الفن أبوابها للمذابح من كل العالم وللكهنة والمشعوذين الذين يأتون من كل جهات الأرض ليشاركوا في حفلة افتتاح المعرض. مقابل ذلك، يحوز العقل الدنيوي اللانهزامي احتراماً بالغاً للجذوة النواة التي تشتعل كل مرة من جديد في مسألة نظرية العدالة الإلهية، وهذا الاحترام يمنع العقل من أن يزعج الدين. العقل يعرف أن نزع القدسية عن المقدسات إنما يبدأ مع تلك الأديان التي نزعت السحر عن السحر، وتغلبت على الأسطورة، وسَمَت بالضحية، وكشفت الحجاب عن السر. هكذا يستطيع العقل أن يحتفظ بمسافة من الدين، من دون أن يغلق نفسه تجاه منظاره.

مثل تقنية الجينات

يستطيع هذا الموقف الغامض أن يوجِّه التنويرَ الذاتي الخاص بمجتمع يمزقه الصراع الحضاري إلى الاتجاه الصحيح أيضاً. يتابع المجتمع ما ـ بعد ـ العلماني العمل الذي أنجزه الدين على الأسطورة على الدين نفسه. وذلك ليس انطلاقاً من الهدف الهجين، هدف الاستيلاء العدائي، بل انطلاقاً من المصلحة القائمة في بث المعنى في المنزل الخاص من أجل مقاومة الأنتروبيا المتسلّلة الخاصة بالمصدر الشحيح. ويجب على العقل العمومي السليم المنوَّر ديمقراطياً أن يخشى الاعتراف القانوني بالمقارنة بوصفه اعترافاً وسيطاً، وأن يخشى الثرثرة التي تعلن أن كل الفروق في الأهمية هي فروق سخيفة. تستطيع المشاعر الخلقية، التي لا تملك حتى الآن تعبيراً مميَّزاً بما فيه الكفاية إلا في اللغة الدينية، أن تجد استحساناً عاماً، فور أن تتهيأ صياغةٌ منقذة لما هو شبه منسي، لكنه مفتقَد ضمناً. إن علمنة لا تُفني إنما تتم في نمط الترجمة. هكذا يستشهد بعض المشاركين في الجدل الدائر حول التعامل مع الأجنة البشرية بالأصحاح الأول، ٢٧ من سفر التكوين: «خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه.» ليس من الضروري أن يؤمن المرء أن الله، الذي هو المحبة، خلق آدم وحواء كائنين حرين مساويين له، ليفهم المرء ماذا تعني صورة الله في الإنسان. فما من محبة من دون معرفة الآخر، وما من حرية من دون الاعتراف المتبادَل. هذا المقابل الذي يتخذ شكل إنسان يجب أن يكون حراً ليستطيع أن يقابل عطف الله. هذا الآخر يُصَوَّر كمخلوق الله رغم أنه يحمل صورة الله. فهو لا يستطيع أن يتساوى والله من حيث الأصل. مخلوقية صورة الله تعبّر عن نية، يمكنها أن تقول شيئاً في هذا السياق لمن هو غير موسيقي دينياً. كان هيغل يتحسس الفرق الموجود بين «الخلق» الإلهي و«الخروج» المجرَّد من الله. الله يبقى «إله البشر الأحرار» طالما أننا لا نلغي الاختلاف المطلق بين الخالق والمخلوق.

طالما أننا لا نلغي هذا الاختلاف، لا يعني منح الصورة الالهي جبريةً، تمنع تقرير الإنسان لمصيره الذاتي.

لا يحتاج هذا الخالق، لأنه إله خالق ومخلص في آن، إلى أن يعمل مثل تقني بحسب قوانين الطبيعة، أو مثل عالم كومبيوتر بحسب قواعد شيفرة ما. صوت الله الداعي إلى الحياة يتواصل منذ البدء ضمن كونٍ حساس خلقياً. لذلك يستطيع الله أن «يحدد» الإنسان بمعنى أنه يجعله قادراً على الحرية ويلزمه بالواجب في الوقت نفسه. ليس من الضروري أن يؤمن المرء بالمقدمات المنطقية اللاهوتية ليفهم العواقب التي تنشأ، إذا فرض نفسه تعلقٌ من نوع آخر، غير التعلق النسبي، إذا اختفى الفرق الذي يتضمنه مفهوم الخلق وحل محلَّ الله نظيرٌ للإنسان ـ أي إذا تدخّل إنسان بحسب أولوياته الخاصة في التركيب غير المخطط له لنطف الأهل، وذلك من دون أن يتوقع على الأقل اتفاقاً مع الآخر المعني بالأمر، حتى ولو كان ذلك منافياً للواقع. هذه القراءة توحي بالسؤال الذي شغلني في مكان آخر. أليس من المحتم أن الإنسان الأول الذي يحدِّد، على هواه الخاص، إنساناً آخر في كيفية كينونته الطبيعية يدمِّر أيضاً تلك الحريات نفسها القائمة بين متساوين في الأصل من أجل ضمان اختلافهم؟

يُعتبر يورغن هابرماس الذي ولد عام ١٩٢٩ من أهم الفلاسفة وعلماء الاجتماع في المانيا. عمل فترة طويلة استاذاً في جامعة فرانكفورت ويدرّس حالياً في الولايات المتحدة الاميركية. ستصدر قريباً بترجمة جورج تامر مجموعة من مقالاته لدى دار النهار للنشر في بيروت بعنوان «خطابُ الحداثةِ السياسي».

ترجمة: جورج تامر

سألت «فكر وفن» بعض الكتاب العرب الذين يعيشون في الغرب عن مواقفهم وتجاربهم بعد ١١ أيلول\سبتمبر. ونفتح هذا القسم بنداء الشعراء المغاربة.

نداء للشعراء المغاربة من أجل السلم والصداقة والحرية

عاش الشعراء المغاربة كما عاش جميع المناصرين للسلم والصداقة والحرية في العالم، كارثة الهجوم الإرهابي على نيويورك وواشنطن بألم كبير، وتقاسموا مع عائلات الضحايا الأبرياء، ومع الشعب الأمريكي، لحظات الفاجعة وأيام الرعب والحداد. إحساسنا بالكارثة صادر عن إيماننا العميق بأن الإرهاب ينافي الروح الإنسانية والقيم الحضارية، التي سعت شعوب وحضارات، عبر العصور، إلى بلورتها وترسيخها، دفاعا عن حرية وكرامة الإنسان في كل مكان من العالم.

إن هذه الفاجعة تأتي لتنبهنا من جديد إلى ما يمثله الشعر من لغة عليا مشتركة بيننا وبين غيرنا في العالم. وهي لغة السلم والصداقة والحرية، التي ورثناها منذ قرون طويلة، عن شعرائنا العرب العظام في المشرق العربي وفي الأندلس والمغرب العربي، وهي نفسها اللغة التي نحافظ عليها في شعرنا الذي نكتبه للإنسان. لغة لما يمنحنا انتماؤنا إلى العالم الحديث ومشاركتنا في إعطاء الكلمة الشعرية صفاء معناها. ولكن عالمنا، اليوم، مهدد بما يتعارض مع هذه اللغة، التي هي وحدها لغتنا، ولا لغة لنا سواها في حياتنا وكتاباتنا. وهذا التهديد شمولي، لا يترك طرفا في مأمن من التدمير الذي يمارسه إرهاب يبلغ حد هدر دماء شعوب وإحراق ذاكرات وثقافات، ويسعى إلى تدمير الجميل والإبداعي في علاقات التفاعل والجوار بين الشعوب.

إننا كشعراء مغاربة، عربا ومسلمين، نقف إلى جانب الدفاع عن السلم والصداقة والحرية في العالم. وهو ما يعطينا حجة أن نكتب النشيد الإنساني، إلى جانب الشعراء في لغات وحضارات. وموقفنا هذا هو ما يدفعنا لمقاومة مستمرة لكل ما يمنع عنا إنسانيتنا، أو يشوه ويلطخ معنى الكلمات، مهما كان مصدر الخطر.

ونرى، من وجهة نظرنا، أن الوقت حان لكي يعيد الشعراء في العالم، وتعيد المؤسسات الشعرية، مهمة الدفاع عن القيم الحضارية العليا، وعن صفاء معنى الكلمات، في جميع جهات الأرض، إلى واجهة اهتمامها. فلا فرق بين شعب وآخر ولا بين لغة وأخرى ولا بين دين وآخر ولا بين حضارة وأخرى، فالشعراء قبيلة واحدة، وهم بهذه الصفة يسهرون على وهج الكلمات ويحظون بمشروعية التعبير عن القيم الإنسانية الخالدة، التي بدونها تصبح الحياة حفرة دفن جماعي.

لأجل ذلك، نوجه نداءنا إلى الشعراء في العالم، والمؤسسات الشعرية، والكتاب والمفكرين والفنانين، والمنظمات الثقافية الدولية، لإعلان تضامن يساوي بين جميع ضحايا الإرهاب باستعمال الكلمات في صفاء معناها، وفتح حوار جماعي يسمح لنا، كشعراء ومثقفين، أن نقدم فكرة جديدة تناقض ما يمنع عن البشر أن يعيشوا حياة سليمة، وأن يكون الشعراء من أبناء لغة الصفاء.

وتقتضي الدعوة إلى فكرة جديدة، قبل كل شيء، تنديدا بالحملة الإعلامية، التي تخلط بين حق شعوب مضطهدة في الوجود وبين ما ترتكبه شبكات محترفي الإرهاب الدولي من جرائم. إذا كانت الحملة الإعلامية تلطخ صفاء معنى الكلمات، فإن على الشعراء أن يعارضوا هذا التلطيخ ويدركوا مخاطر الخلط بين الواقع المأساوي لشعوب تدافع عن حقها في الوجود وتقرير مصيرها بإرادة منها واختيار، وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني، وبين الحملة الإعلامية التي لا تحترم الحقيقة والمواقف العادلة.

ثم علينا أن نتذكر، بوعي ومعرفة وحرص أن الشعب المغربي جزء من الشعوب العربية والإسلامية التي ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية وأثرت بثقافتها وفنونها، في غيرها من الشعوب. وهي في الحاضر مستبعدة من الاستشارة وإبداء الرأي في القرار، مثلما هي تعاني من النتائج السلبية للعلاقات الدولية غير المتكافئة في عهد عولمة وحشية. ومع ذلك فإن هذه الشعوب تكافح لإقرار حياة ديموقراطية مستقرة في بلدانها وعلاقات مساواة وتعاون مع الشعوب الأخرى في العالم. وهي فوق ذلك ترفض الإرهاب كيفما كان شكله ومصدره، مع العلم بأنها الضحية الأولى، منذ

عقود، للإرهاب. ونحن أبناء أوفياء لشعبنا، بما يعلمه لنا من أخلاق التسامح والعدل والكرامة، وبما يستقبلنا به من حب للشعر والشعراء من جميع اللغات والبلدان.
وبهذا الاقتضاء، يمكن للألم الكبير، الذي أصاب، اليوم، جميع محبّي السلم، أن يكشف لنا عن منعطف التأمل في العلاقات بين المجتمعات الدولية على أسس المساواة وإعطاء الحق لصاحب الحق، والتأمل في العدالة التي لا تصبح مبررا لاستعمال العنف ضد الأبرياء في أي مكان من العالم. فحقيقة الشعر هي صيرورة الرحيل نحو صفاء معنى الكلمات.
ونحن، إذ نوجه هذا النداء إلى أصدقائنا الشعراء في العالم وإلى المؤسسات التي نلتقي معها في الارتفاع بالنشيد الشعري إلى مكانه الحق الإنساني، نحيي كل مبادرة تهدف إلى العمل في أفق وعي جديد بعالمنا. خراب أي مكان من العالم خرابنا جميعا. ويظل الشعر كلمتنا العليا. بها نقرأ الطبقات السفلى للأنقاض، نحمي جثث الضحايا الأبرياء من برد ومن صمت، كلمة بها نبقى أحياء، متضامنين وأصفياء، وبها نستحق الإقامة على الأرض.

سركون بولص

أنا الذي

لا نأمةٌ.
هل مات من كانوا هنا؟
لا كلمةٌ
تَردُ اللسان –
الانتظارُ أم الهجوم؟
أم التملّصُ من...
كهذا الصمت
حين أُهيل جمرَ تحفُّزي حتى
يبلّدني التحامُ غرائزي: أرعى كثورٍ
في الحقول
أنا نبوخذُ نُصَّر –
تُلقي الفصولُ إليَّ
أعشاباً ملوَّثةً، وأُلقي النردَ
في بئر الفصول –
لأجتلي سرّاً
يعذّبني؟
يعذبني طوال الليل. حتى صيحة
الديك الذبيح.
لأجتلي سرّاً.
وأسمعَ ضجّةَ الأكوانِ؟
(إنهُ مأتمُ
قالوا لنا: عُرْسٌ)
جيوشُ الهمّ تسحبني
بسلسلةٍ
ويستلمُ الزمانُ أعنّةَ الحوذيّ –
تسبقنا الظلالُ.
وراءنا:
كلُّ الذينَ، وكلُّ مَنْ

طال الزمن، قال الرجل.

شمسٌ على هذا
المشمّع فوق مائدتي:
نهارٌ لا يضاهيه نهار. كوجه الله
تبقى تحت عينيّ انعكاستها،
وتخرقني
الى قاعي كرمْحٍ –
إنها شمسي.
وملأى غرفتي، بيتي، كقارب رَعْ
تسافرُ في المتاهة
بالهدايا.
شمسٌ على صحني
وصحني، في الحقيقة، فارغٌ:
حبّات زيتونٍ، بقايا قنّبيطٍ،
عظمةٌ...
ما زاد عن مطلوبنا.
تلك البقايا..
نُتفةٌ في كل يومٍ، قشرةٌ
نلقي بها في لُجة التيار – يبقى
الصحنُ.
والسّكين. تبقى شوكةُ
أبقى. وجوعي، تُخمتي.
الشمسُ أو ليمونةٌ
تطفو على وجه الغدير المكتسي
بطحالبٍ ألقي الى أكداسها حجراً
فتخفقُ، مرةً، وتُبقْبِقُ الأغوارُ
فقّاعاتُ أوهامٍ مبّددةٍ
رغابٌ لم تجسدها الوقائعُ
جَمجَماتٌ لا محلّ لها من الإعراب
أطماعٌ. دهاليزٌ. وعود بالعدالة؟
(بالسعادة)!
رغوةُ الكلمات في بالوعة المعنى
تواريخٌ
وثمّةَ من يُفبركها، ويشطبنا بممحاةٍ –
لنبقى.

قال الرجل: «فاتَ الأمل.
زادَ الألم»

شدّوا الضحيّة بين أربعةٍ
من الأفراسِ
جامحةٍ.
جنودٌ يسكرون. جنازةٌ عبرت وراء
التل. هل جاء البرابرةُ القدامى
من وراء البحر؟
هل جاؤوا؟
وحتى لو بنينا سورنا الصيني، سوف
يقال: جاؤوا.
انهم منّا، وفينا. جاء آخَرُنا
ليُضحكنا، ويُبكينا..
ويبني حولنا سوراً من الأرزاء. لكن،
سوف نبقى.

هناك، في بلاد باتاغونيا، ريحٌ
يسمّونها «مكنسة الله»

ريحٌ
أريدُ لها الهبوبَ، على مدار
الشرق، في أسمائه الزهراء
والغرب المدجّج بالرفاه: أريد أن
أختارها
لتكون لي
أن أستضيف جنونها
إذ تكنس الأيام والأسماء
تكنس وجه عالمنا كمزبلةٍ

لتنكشف التجاعيدُ العميقة تحت
أكداسٍ من الأصابغ
والدمِ، والجرائمِ
والليالي.
أقْبِلي، يا ريحُ.
مكنسةَ الإلهِ، تَقدّمي.

قال الرجل. قال الرجل

لا ترمِ في مستنقعٍ حجراً
ولا تطرق على بابٍ فلا أحدٌ
وراءه غيرُ هذا
الميّت الحيِّ الموزعِ بينَ بينٍ في أناهُ،
بلا أنا
يأتي الصدى:
هل مات.
من كانوا.
هنا.
جاء الواحدُ الذي يقولُ، والآخر
الذي يصمتُ.
الذي يمضي، والآتي من هناك.
بينهما
كلمةٌ، أو نأمةٌ.
بينهما أنهارٌ من الدم جرتْ، فيالقٌ
تسبقها الطبولُ.
ولم يستيقظ أحد.
بينهما صيحةُ الجنين على سنِّ الرمح
في يد أول جنديٍّ أعماهُ السُّكْر
يخسفُ بابَ البيت.
بينهما مستفعلنٌ، أو ربّما متفاعلنٌ؟
لا
ليس بينهما سوايَ:
أنا الذي

شاعر عراقي مقيم في الولايات المتحدة

وديع سعادة

ليس الإرهاب إرهاب أفراد ومنظمات فحسب، إنما هو أيضا إرهاب دول. وبسبب هذين الإرهابيين أنا موجود في أستراليا، مثلي مثل الكثيرين الذين غادروا أوطانهم، أو الذين لم تتسنَ لهم المغادرة فقتلهم الإرهاب أو بقوا تحت نيره.

لا شك في أن هجمات ١١ أيلول\سبتمبر جريمة إنسانية كبرى. ولكن لا شك أيضا في أن هناك أسباباً دفعت إلى هذه الجريمة. وإذا كان لا يمكن مغفرة الجرائم، فلا يمكن في المقابل مغفرة أسبابها كذلك. فما الذي يدفع أناساً إلى قتل أنفسهم في عمليات انتحارية كالتي جرت في نيويورك وواشنطن لو لم يكن هذا الانتحار التعبير الأقصى عن قضاياهم؟ هذا بالطبع لا يبرر قتل الأبرياء، لكن عليه بالتأكيد أن يدفع المستهدف إلى مراجعة موقفه من قضايا هؤلاء، لا سيما إذا كان هو في طليعة مسبّبيها.

لقد فُهم من الانتحاريين والذين يقفون وراءهم أنهم يطالبون الولايات المتحدة الأمريكية بعدم الوقوف مع الجلاّد ضد الضحية في فلسطين، وبعدم استغلال مقدرات الشعوب وثرواتها في الخليج ودول أخرى، وبرفع هيمنتها السياسية والاقتصادية عن الدول الضعيفة، وبرفع الحصار عن شعب العراق وشعوب أخرى، وباختصار الكفّ عن غطرستها وهيمنتها على العالم. هذه لا شك مطالب محقة، ولو أننا لا نبرّر الوسيلة التي اعتمدها الانتحاريون للتعبير عنها.

أما محاربة الإرهاب فلا تتم قطعاً بالطريقة التي تعتمدها أميركا حالياً. إن القضاء على الإرهاب لا يتحقق إلا بمعالجة أسبابه. والقضاء على بن لادن وأتباعه لن يوقف وحده الإرهاب، إذ أن بن لادنيين آخرين كثيرين سيولدون ما دامت الأسباب الدافعة إلى الإرهاب لا تزال موجودة.

إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد إنهاء الإرهاب حقا فلتنهِ المشاكل العالقة في العالم والتي هي وراءها. أما القضاء على نظام طالبان في أفغانستان فيبدو أن وراءه غاية أخرى: وهي هيمنة أمريكية سياسية واقتصادية جديدة على بقعة أخرى في العالم غنية بثرواتها الطبيعية، وإن ذلك سيولّد بلا شك إرهابا آخر.

طارق الطيب

صور هامشيّة وحدود عن سيرة حياتي

صورة *المولد والنشأة:*
ولدتُ في مصر في آخر عام من الخمسينات، وعشتُ فيها ربع قرن بالتمام قبل أن انتقل إلى أوروبا. طفولتي قضيتها بين القاهرة القديمة وسيناء الشمالية. رأيت غزّة صغيراً. ورأيتُ السودان شاباً في العام الأخير من السبعينات ثم رأيت العراق في أوائل الثمانينات، وزرتُ عدداً من المدن الأمريكية مرتين في منتصف التسعينات وزرتُ أماكن أخرى في هذا العالم من سعد حظي. وبرغم أن كثيرين زاروا أضعاف ما زرت ورأوا أكثر منّي، لكن ربما هذه الخلطة النادرة في نشأتي، إضافة لكوني ابن لسوداني عاش في مصر ولأمّ من أصول سودانية مصرية، ثم لطفولة فريدة بين أقران مصريين وسودانيين وفلسطينيين، ثم انتقال بعد التخرج الجامعي إلى العراق ومعايشة أهله عن كثب، ثم الرحيل إلى أوروبا والبقاء مقيماً في فيينّا لحوالي ثماني عشرة سنة حتى اليوم – ربما كل هذا أكسبني حساسية خاصة في ما يتعلق بأمور هذه الدول، مثلما هو الحال مع دول القارات الأربع التي يتوزع بينها أقاربي وأهلي في مصر والسودان والسعودية وفيينّا وأميركا.

أنا أنتمي إذاً من ناحية الوالد إلى دولة تعتبر في التصنيف العالمي دولة إرهابية، دولة كاملة بما فيها ومن عليها. وقد زرت بلداً إرهابياً آخر وهو العراق

كان في ذاك الزمان في مصنّف «ضد الإرهاب» الإيراني الجديد لكن بمرور الزمن تغيرت الحال وتم تصنيف ضد الإرهابي إلى «الإرهابي» وأُغلق الملف، والصفة الأسوأ تـعلـّق.

صورة الأمّ والأخت:

حين أرادت أمّي (وهي سيدة كبيرة تعدّت الستين الآن) أن تزور ابنتها – أختي التي تضع مولوداً في أميركا. هذه السيدة الأمية (التي لم يُسمح لها ولا لخالتي بدخول المدرسة وهما صغيرتان) أوقفوها في مطار نيويورك بدون مترجم وأفزعوها بالتحقيق وكان ترحيبهم بها عظيماً برفع بصماتها ومعاملتها كإرهابية؛ بينما أقاربنا من الأطفال الأمريكيين اللطفاء يدخلون بلادنا بتعظيم سلام وتهنئة في الحلول والانصراف. أما أختي التي لم ترَ أختها من سنوات، فقد حاولت للمرة الرابعة، على مدار الأعوام السبعة الأخيرة، الحصول على تأشيرة سفر لزيارة أختها، وبالرغم من تأكيدات العودة وتقديم الضمانات اللازمة بكل ما لديها وما لدى أختي وزوجها الأمريكي الذي يعمل في وظيفة حكومية كبيرة محترمة؛ لكن دون جدوى. غير مسموح لها برؤية أختها في زيارة عادية بسبب جنسيتها السودانية!

صورة الأب:

أوروبا هي الأخرى ليست أفضل حالاً، فقد أرسلت لوالدي منذ سنوات لزيارتي في فيينّا، وكان قد تقاعد في مصر، وهذه أول رحلة له إلى أوروبا العظيمة. أهلكته السفارة النمساوية وقنصليتها هناك بالذهاب والإياب والمماطلة. رغم الدعوة الرسمية الموقعة من زوجتي (لم أكن وقتها نمساوياً من البشر الأسوياء) وطلبوا كشف حساب بمرتبها وتأميناتها والضمانات الأخرى السخيفة خوفاً من أن يأتي هذا العجوز ويبقى في فيينّا. كان عليه أن يثبت لقنصلية النمسا في القاهرة وجود تذكرة أسمية بالذهاب والعودة. ولما منحته القنصلية تأشيرة السفر وإمعاناً منها في الإذلال أصدروها بعشرة أيام سابقة على موعد السفر ولم يحقّ لوالدي سوى الإقامة بضعة أيام بيننا في فيينّا. سعدت فيها جداً بهذه الفرصة النادرة التي لن تتكرر. الرجل مات. مشكلة العالم معه أنه كان سوداني الجنسية.

صورة السائح الأجنبي وصورتي:

أخذت طالباتي وطلابي النمساويات والنمساويين بالجامعة للمرة الأولى لزيارة مصر في سبتمبر من هذا العام، لم يصدقوا هذه الحفاوة والمحبّة والمعاملة من هذا الشعب الكريم المضياف خرجوا بانطباعات لا تنسى. لكننا هناك أصبنا أيضاً بهذا الداء «العولمي»، فعلى باب المتحف المصري وكنتُ أقف وسط طلابي أشرح لهم ما هو جميل ومهم، انقضّ عليّ ضابط صغير من الأمن ليخاطبني بهذا الأسلوب البلطجي المهين لأخرج من الصف وأثبت هويّتي، أصيب مرشدنا السياحي بالحرج وأنا أيضاً، قال له أنني أستاذهم في الجامعة وكل هؤلاء طلابي وطالباتي وهذه زوجتي وأشار إلى زوجتي الأجنبية. ارتبك، لكنه أصر أن أدخل من باب آخر مخصص لغير الأجانب، أي لبشر الدرجة الثانية، فقلت له لندخل جميعاً من الباب الآخر إن أصررتَ. ولما انزعج وارتبك ثم ثم... إلى آخر الحكاية. وسط استغراب الطلاب والطالبات.

صورة الأسئلة:

في سبتمبر الماضي ٢٠٠١ ذكر لي صديق وأستاذ محترم له هيبته ومقامه، أثناء زيارتي الأخيرة له وأنا في مصر أنه فوجئ بزميله الأمريكي الذي يعمل معهم منذ سنوات في مصر ومقيماً بها ويعيش حياة مرفهة بل أفضل من زملائه. قال الأمريكي لصديقي بلهجة تحذيرية بعد أحداث سبتمبر: «سوف نرى كيف ستعاملوننا يا مصريين في المستقبل؟» تأسف صديقي من منطق زميل عاش بينهم عمراً مديداً ثم ينكر كل هذا في لحظة؟

سألني سائل منذ أيام: «هل أنت مسلم؟» فقلت له: «نعم؟». سكتَ. وجدتُ أن هذا السؤال أصبح يتكرر فجأة وبريبة شديدة على كثيرين من أمثالي في أوروبا، أما في أميركا فحدّث ولا حرج: «هل أنت عربي؟ هل أنت مسلم؟». هذا السؤال المعتاد أصبح يحمل ارتياباً وشكاً وسوء ظن غابر، أظن أننا لن نخلص منها في وقت قريب، وإلا ما معنى هذا السؤال الناقص؟

الآن ليضع أي شخص (يحترم كرامته) نفسه محلي ويرى هذه الأمور تحدث مع أبيه وأمه وأخته وأخيه، بغض النظر عن شخص الفاعل. كيف سيكون شعوره؟

حالتي هذه حالة مخففة جداً لما يحدث لآخرين، وما زال البعض يسألني عن رأيي في بعض البشر وينسى البقية، على طريقة أنصاف الأسئلة المريبة. وليس يكفي أن يصير مجهودي العملي تابعاً بل يطمع البعض في أن يكون فكري هو الآخر خادماً، تتجاذبه قلة من معتوهين يدّعون التدين والصراط الحق هنا وهناك، أو أكثرية من غُفـّـل جهلة يتشدقون بالديموقراطية ويدعون أنهم على الطريق الأحسن هنا وهناك أيضاً. وليس لهذه الفئة عندي ولا للأخرى مكاناً في قلبي ولا عقلي. فهل من حقي فعلاً الحرية في النأي عن أيّ منهما؟ وهل يتقبّل البعض حريتي في أن أكون في مكاني العقلي

الذي أردته واخترته، ولا يحسبني هذا بعشوائيته على هذا الفريق أو ذاك في هذه اللعبة الطائشة؟
أطمح ألا يبدو هذا الكلام بعيداً عن أحداث حياتنا القريبة، وألا أتجنّى بهاجس التوقعات المسبقة لرأيي؛ أمّا إن كان— فسيؤكد هذا صراط اللامبالاة المتكرر الذي أخشاه!

كاتب سوداني مقيم في النمسا

أحمد حسو

النائم - التقي

أقيم في ألمانيا منذ ما يقارب الخمس سنوات. وقد دأبت خلال هذه الفترة أن اشتري كل صباح صحيفة «الحياة» اللندنية من كشك قريب من بيتي في مدينة كولونيا. ويوماً بعد يوم ازداد تعرفي بالسيدة صاحبة الكشك، فنحن جيران وأنا أصبحت زبوناً مواظباً عندها. وصرنا نتبادل بعض الكلمات حول الوضع في العالم الإسلامي وكانت حريصة أن تسألني بين الحين والآخر عن معاناة المرأة في أفغانستان أو السعودية أو غيرهما من الدول العربية والإسلامية. لقد بدوت لها شخصاً غريباً عما تعرفه عن عالم الإسلام، وربما متشرب بفكر الغرب، كامل الانسجام معه وما زادها اطمئناناً أنّ زوجتي ألمانية أيضاً. لكن حين بدأت أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية شعرت بأنّ نظرة السيدة إلي قد تغيرت قليلاً. وفي أحد الأيام وقبل بدء الهجوم الأمريكي على أفغانستان سألتني: كيف تعالج صحيفتك هذا الصراع؟ هي مع طالبان وبن لادن، أليس كذلك؟ قلت لها هل تعتقدين أنّ كل العرب والمسلمين هم مع بن لادن؟ إنها صحيفة كغيرها من الصحف، تغطي الأحداث وفيها آراء مختلفة. هزت رأسها علامةَ عدم اقتناع، فأدركت عندها أنّ الأحكام المسبقة حول الإسلام التي تسود الإعلام الغربي ومنه الألماني قد فعلت فعلها في هذه السيدة و لم يعد مجدياً أن تخاطبها بلغة أخرى، فهي كغيرها من الملايين قد اتخذت موقفها وغير مستعدة لتغييره. في هذه الأثناء ظهرت في وسائل الإعلام أخبار تفيد بأنّ الإعداد لهجمات واشنطن ونيويورك قد تم في ألمانيا وخصوصاً في مدينة هامبورغ. ونشرت الصحف ومحطات التلفزة الألمانية صور و أسماء بعض من يفترض أنهم المشاركون في هذه الهجمات وقادوا الطائرات ممن درسوا في ألمانيا وأقاموا فيها لسنوات طويلة حتى أنّ بعضهم حصل على منح دراسية من مؤسسات ألمانية، مما شحن الجو أكثر وأعاد النقاش حول مسألة الأجانب المقيمين في ألمانيا إلى الواجهة. وأخذت محطات التلفزة الألمانية المختلفة تتسابق في إجراء مقابلات وحلقات مناقشة مع «خبراء» في الإسلام والإرهاب، بعضهم بالطبع أساتذة محترمون، لكنّ السواد الأعظم منهم صحافيون يتعيشون على الخبر السريع ومعرفتهم بالإسلام سطحية جداً، فانبرى فرسان الإعلام هؤلاء، إلى إصدار فتاوى حول الإسلام وتفسير الآيات القرآنية على طريقة «لا تقربوا الصلاة».
كانت مفاجأة كبيرة للألمان أن يكون هؤلاء الذين عاشوا بين ظهرانيهم حياةً طبيعية ودرسوا في أفضل جامعاتهم ونالوا درجات علمية عالية إرهابيين من الطراز الخطر يخططون ويشاركون في إنتاج القتل. ومع هذا الذهول الألماني وما قامت به الصحف الصفراء من دعاية وتحريض، برز مصطلح «Schläfer» باللغة الألمانية وترجمته الحرفية «النائم». وهي الترجمة التي أخذت بها معظم الصحف العربية، لكن في اعتقادي أنّ أفضل ترجمة له هي «التقي» أي الشخص الذي يظهر في العلن انسجاماً مع المجتمع وينخرط في فعالياته ويرضخ لآلياته، لكنه في الباطن يحمل أفكاراً مغايرة تماماً ويسعى للانقضاض عليه حين تسنح له الفرصة. و«التقي» صفة مشبهة باسم الفاعل مأخوذة من كلمة «التقية» المعروفة في الإسلام، وهي المذهب الذي تبناه الدعاة الشيعة في كفاحهم ضد الدولة الإسلامية السنية (الأموية والعبّاسية.) ومفهوم التقية لم يعد حكراً على الشيعة إذ تبنته معظم الحركات الإسلامية السنية الحديثة. وكان الأخوان المسلمون في مصر أول من تبناه. وبعد أحداث نيويورك وواشنطن واتهام الحكومة الأمريكية تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن بالقيام بهذه الهجمات تحول معظم المسلمين والعرب إلى «نائمين» أو «تقاة».
وبالعودة إلى بائعة الصحف، جارتي. ففي أحد الأيام وحين كان الرئيس الأمريكي قد أمر بنشر صور بعض الإسلاميين المطلوبين لعدالة دولته وعلى رأسهم أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وأبو حفص المصري وغيرهم، ذهبت كعادتي اليومية لأشتري الصحيفة، وإذا بها (البائعة) تفاجئني قبل أن تسلمني الصحيفة، إذ وضعت نظارتها على عينيها وأخذت تتفحص الصور المنشورة على صدر الصحيفة وتنظر في وجهي وتقارن بيني وبين الصور. ولدهشتي وعدم استيعابي الأمر، سألتها ماذا هناك؟ فأجابتني بجدية جاهدت أن تخفيها بابتسامة لتوحي لي بأنها تمزح: أبحث عن صورتك بينهم، ألست «نائماً» (تقياً) أيضاً؟

صحافي سوري مقيم في ألمانيا

إيمان مرسال

جغرافيا

بإمكانك تخيّله عائدًا من الحرب
تلك الحروب التي تنمو في مكانٍ
آخر
ليعود بعض أفرادها بذكرياتٍ قد
تبدو كافية
لصناعة فيلم شبه واقعي
المهم، أنه عاد من صحراء في شمال
أفريقيا
وبخبرةٍ في العطش
افتتح دكانًا لبيع العصائر
كان يضع الثلج فوق المشروبات
الصحيّة
التي أصبحت في أواخر الأربعينيّات
عيّنة
على أمريكا في عهدها الجديد العادل
حين اكتشف مياهاً تنزّ من الصناديق
فتهيأ له بحرًا يابسة ثم جزيرة
من هنا تولّدت لديه فكرةً مشوشةً
عن الجغرافيا
ثم جاء حفيده الذي لم يذهب أبدًا
إلى الحرب
فحوّل الدكان إلى مكانٍ لبيع الخرائط
لو مررت من هنا يومًا،
في هذا الشارع الذي يشبه شريانًا
مسدودًا في قلب منهاتن
سترى أناسًا ليسوا من هنا
يدخلون و يخرجون و نادرًا ما
يشترون شيئًا
أنا مرة رأيت امرأةً تمسح الترابَ عن
جبلٍ
وبنتًا ترسل خصلة من شَعرها في
بحيرة
و سمعت آخر يحاول أن يصف
لآخرٍ معه
موقع بيته البعيد في قريته البعيدة
بالقرب من مدينة بعيدة
تظهر مثل نقطة في خريطة بلده
البعيد
أنا أمرّ من هنا
لا لأشارك هؤلاء الغرباء حسرتهم
و لا لأضع الماء في النيل الذي يبدو
مثل ثعبان نائم
في الرسم المعلق في مواجهة الباب
و لا حتى لأتأمل ذلك البهاء الذي
لابد كان هناك
في أعلى الرِّجل اليمنى لصاحب
الدكان الأصليّ
الذي أرى الآن صورته في زيّ
الجندي و نيشانه
دون أي ذِكرٍ لرجله الخشبية
أو للماء الذي نزّ من الصناديق
أنا لا أعرف لماذا أمر من هنا حقيقة
لكني الآن أشهد بعينيّ
ماذا يصنع بائع الخرائط
عندما يجد نفسه ربما للمرة الأولى
في حربٍ لم يذهب إليها
و لكنها هذه المرة جاءت إليه.

شاعرة مصرية مقيمة في كندا

حسين الموزاني

ثمّة وهم كان يتبدد كلّ مرة على نحو مأساوي مفاده أن الكتّاب يمكن أن يوجهوا السياسة أو يؤثرا فيها؛ بيد أن السياسة كانت دوماً لا تتوافق والشعر. وهذا الأمر لم يتغير منذ زمن الشاعر الروماني فرجيل إلى زمننا هذا. وحتى فطاحل الشعراء من أمثال المتنبي وحافظ وغوته فشلوا فشلاً ذريعاً في التأثير على القرارات السياسة. ومع ذلك فإن كتّاباً كباراً يقعون اليوم ضحية هذا الوهم، بحيث أنهم مازالوا يعتقدون أن بمقدورهم ممارسة دور فاعل في القرار السياسي كأن يوقفوا الحرب مثلاً، أي المجزرة البشرية.
وإذا ما أبدت سوزان سونتاغ قلقها حيال الوضع في العراق الذي يعاني تحت وطأة الجوع والقنابل منذ عشرة أعوام، وإذا ما طالب غونتر غراس الغربَ بأن يظهر القدرة على التساؤل عمّا قام به من أخطاء، وإذا ما أوردت الكاتبة الهندية أروندانتي روي تصريحاً لمادلين أولبرايت، وزيرة خارجية أمريكا سابقاً، قالت فيه إن موت نصف مليون طفل عراقي هو ثمن معقول يدفعه الشعب العراقي، إذا ما سارع هؤلاء الكتّاب إلى تسجيل آرائهم فإن ذلك يشهد على مدى سرعة التصديق المغرقة في السذاجة. فما زال غاو و أوي، وهما من حملة جائزة نوبل للآداب، يدينان سياسة التسليح النووي وانتهاك حقوق الإنسان في العالم برمته، بيد أن أحداً من السياسيين لم يصغ لهما قطّ. وطالما عبر الكتّاب عن مخاوفهم من استقلال الاقتصاد وانفصاله عن المجتمع، بينما الحقيقة تشير إلى أن السياسة نفسها هي التي ابتعدت كليّاً عن الواقع الاجتماعي.
والآن عليّ أنا المنفي المجهول أن أصرّح برأيي عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر\أيلول؟
بالطبع إن هذا العمل الإرهابي الشنيع غير المبرر قطعاً قد أوقع في نفسي الذعر وأصابني بالشلل. ومع ذلك فإنني لست متفقاً مع التصوّر الأمريكي الرسمي عن الجريمة ودوافعها، ولا أستطيع الاطمئنان إلى هذه الرواية إلا إذا وافقت الولايات المتحدة على تشكيل لجنة دولية لتقصي الحقائق تتمكن من إلقاء الضوء على هذه القضية. فيجب أن يكون للعالم حقّ في تحرّي الوقائع، وليس الانخراط فوراً في توجيه الضربات إلى أفقر الفقراء. ولو افترضنا جدلاً بأن دولة نووية قويّة هي التي قامت بهذا العمل الإجرامي، فهل ستقدم الولايات المتحدة على الانتقام؟
لكن الأسوأ من ذلك هو موقف السائرين في الركب، بحيث أن لا أحد منهم يعتقد أن بإمكانه الاعتراض على الموقف الأمريكي وأن يسأل مثلاً

كم هو عدد الضحايا فعلاً، فهل هي ستة آلاف أم نصف هذا العدد أم فقط ستمائة؟ – ولابد من القول هنا بأن ضحية واحدة ستكون أمراً مرفوضاً بالمرّة – لأن هؤلاء السائرين في الركب يعلمون بان الله يقف دائماً مع الكتائب القويّة، أمّا الضحايا الأفغان فلا يستحقون حتى أن تحصى جثثهم.
إنه لمن المؤلم أن لا يتضامن المرء مع الضحايا الضعفاء – وهنا أتحدث عن الضحايا العراقيين؛ لأن المشاعر الإنسانية لا يمكن أن تتجزأ. فمعظم الناس يتطلع إلى العراقيين المحكومين بالموت جوعاً كمن يتطلع إلى فنانيّ جوع يتسلّى بمرآهم جمهور مترف.
إن حرب العقوبات الفتّاكة التي قرر مجلس الأمن الدولي شنها على العراق تنطوي على منفعة واحدة لا غير: وهي إعادة الاعتبار إلى الكلاب العراقية السائبة البائسة التي كانت تعاني من ركلات المارة، فأضحت اليوم تتبختر زهواً وخيلاء؛ لأنها تحولت إلى كلاب حراسة، ليس بمعنى مراقبة عقوبات مجلس الأمن الدولي، إنما لحماية أصحاب الثياب الجديدة الأنيقة من السلب والنهب.
ولكي أبعد جميع الشبهات عن نفسي فإنني أعلن عن موافقتي المطلقة على إزالة نظام صدّام وإبداله بحكم ديمقراطي عادل – وليس تمزيق البلد وتفريق أبنائه ذوي الانتماءات العرقية المختلفة الذين يتعايشون مع بعضهم بسلام منذ آلاف السنين.
وأرى أيضاً أنه بدلاً من أن تُوقف الخمسة والعشرين مليون دولار على رأس ابن لادن – يبدو أن ثمن الأصولي الإسلامي يمكن أن يصل إلى هذا المقدار –، أن تنفق على ترجمة الأعمال الأدبية الأمريكية إلى اللغة الأفغانية وترجمة الأدب الأفغاني إلى الإنجليزية.
وعلى الرغم من ذلك كلّه فإنني مقتنع بأن كلمات الكتّاب ستتجاوز أفعال الساسة زمنياً؛ فبالأدب والفنّ وحدهما سيصبح العالم أكثر إثارةً وحيويةً وإنسانيةً، لكنه لن يكون هكذا بفعل السياسة أبداً.

كاتب ومترجم عراقي يقيم بكولونيا

فاضل العزاوي

هذه الأشباح التي تعيش في الظلام

لم تكن الجريمة التي ارتكبت في الحادي عشر من أيلول (سبتمبر ٢٠٠١) في نيويورك وواشنطن عملا سياسيا يمكن تبريره آيديولوجيا، مهما كانت هذه الآيديولوجيا عدوانية وهجومية وبربرية، بقدر ما هي إشارة إلى جنون جديد راح يجتاح العالم، وقد أضفيت عليه صفة القداسة الدينية هذه المرة. ومع ذلك فإن هذا الجنون المغلف بالآيديولوجيا الإسلاموية السياسية لا ينبعث عن هوى مجرد وإنما هو الثمن الدموي الذي ندفعه الآن جميعا لكل الأخطاء السياسية المرتكبة في الماضي، ثمن اليأس من عالم فقدت فيه الحياة نفسها معناها.
في نهاية الثمانينات بدا العالم وكأنه سوف ينتقل من حال إلى حال. فقد أدى انهيار الدكتاتوريات الستالينية القائمة إلى الأمل بإنهاء تقسيم العالم ونقل الديموقراطية والحرية والعدالة إلى كل مكان، وبخاصة أنه اقترن باتساع موجة العولمة التي شكلت مرحلة جديدة في التاريخ البشري، فارضة شروطها الاقتصادية على الجميع. ولكن هذا الأمل سرعان ما تحول إلى يأس مطبق في البلدان العربية والإسلامية بالذات فلكي تتسق العولمة مع ذاتها كان عليها أن تقترن بالكفاح من أجل الديموقراطية وحقوق الإنسان وتحقيق شيء من العدالة على الأقل في هذه البلدان. ولكن لا شيء من ذلك تحقق، فضلا عن شعور هذه الشعوب بامتهان كرامتها مرة من قبل الأنظمة القمعية التي تحكمها وأخرى من قبل الغرب الذي فضل دائما أن يمد يده إلى القوى الأكثر تخلفا وظلامية في هذه البلدان، بدعوى صيانة مصالحه.
إنهم يتحدثون منذ الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عن الإسلام المشتبه به بارتكاب هذه الجريمة الدموية، وكأن أسامة بن لادن هو الناطق الرسمي باسم النبي محمد وملا عمر هو بابا المسلمين، في حين أن هذا الإسلام ليس سوى الإسلام الذي صنعوه هم بأنفسهم منذ عقود من الزمن، بل وحتى قبل جهاد أسامة بن لادن وملا عمر ضد السوفيات تحت الراية الأميركية، إن الأمر أبعد من ذلك بكثير. ففي الكفاح الذي خاضه العرب من أجل تحديث مجتمعاتهم وأنظمتهم وقف الغرب دائما تقريبا مع الأسف إلى جانب القوى الأكثر ظلامية، تلك التي اتخذت من الإسلام غطاء ساترا لها لممارسة فسادها وتخلفها وتبرير قمعها وطغيانها، بدعوى الورع الديني تارة والخصوصية والقيم العربية الأصيلة تارة أخرى. من رحم هذه الإسلاموية الرسمية المؤسسة على الدجل خرج فرانكنشتاين الذي راح يدمر خالقه. إن دعوى بن لادن وكل تلك الحركات الإسلاموية السياسية في مصر والجزائر والسعودية بصورة خاصة تنطلق من حقيقة بسيطة واحدة وهي: ما دام الأمر يتعلق بالإسلام فإن هذه الأنظمة ليست إسلامية والغرب وحده مسؤول عن وجودها.
وبالطبع ثمة لعب بالإسلام هنا واغتصاب لحقيقته كدين لتبرير قتل الآلاف من الأبرياء، في حين أن الأمر كله يتعلق بصراعات وغايات دنيوية أسست نفسها على الجريمة. فالفكرة التي يطرحها الإسلاميون عن تشكيل ما كان الرئيس العراقي الأسبق عبد السلام عارف يطلق عليه بحمية اسم «الدولة الإلهية» لا علاقة لها بالدنيا،

وإذا ما قامت فقد تقوم بين القبور في الآخرة وحدها، إذ لا يوجد في التاريخ الإسلامي كله مثال واحد لهذه الدولة المسخ التي أراد ملا عمر وأسامة بن لادن وآخرون إقامتها في العالم الإسلامي. فالدولة في ظل المسلمين كانت دائما دولة دنيوية)وهل يمكن أن تكون غير ذلك؟) منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى الآن، تحكمها الصراعات القائمة بين مواطنيها وتقوم على المصالح قبل كل شيء، أما ما هو حاضر فيها فهو روح الحضارة العربية الإسلامية القائمة على إبداع فلاسفتها وشعرائها وعلمائها.
إن أفضل ما يمكن أن نفعله بعد هذه العاصفة الدموية هو أن نجعل الشمس تشرق فوق الكرة الأرضية كلها، ففي ضوء النهار لن يكون ثمة مكان للأشباح التي لا يمكن أن تعيش وترتكب جرائمها إلا في الظلام.

شاعر وكاتب عراقي يقيم ببرلين

امل الجبوري

دونما أعداء ماحاجة امريكا لأمريكا

أمرأة تهم بالخروج من أحدى المكتبات فاجأها مقدم البرنامج التلفزيوني في احدى القنوات الاوربية بسؤاله:
ماعنوان الكتاب الذي اشتريته ؟
تجيبه: القرآن
لماذا ؟
كيف نفهم كيف يفكر عدونا !
هذه الاجابة تعكس بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر منعطفا خطيرا في العلاقة بين العالم من جهة وماهو عربي ـ اسلامي من جهة اخرى، كان من المفترض ان هذه العلاقة ا تجاوزت العرق واللون و الدين نفسه. حولت الآخر الآن الى عدو أو لنقل أنها أخرجته من خلف كواليس الاعداء المخبئين ليصبح العدو الاول
لكن الغرب ادرك ان عليه تخفيف حدة اجابة تلك السيدة بالدعوة الى الحوار والتسامح
الحوار الذي يشكل كفتين متوازنتين هكذا ينظر العربي الى ذاته لا نظرة مهزوم منكسر نظرة ما ينقد هذه الذات أيضا. قبل البدء بالحوار وعلى الغربي أن لايفكر بالحوار وهو ينظر الينا من أعلى طابق في عمارة هذا الكون
حجب كثيرة وضعها خبراء السياسة ومنظرو التاريخ والثقافة المتطرفون بين الشرق والغرب
لعل الكارثة هي التي جعلت الاخر يدرك أن واجبه الآن تمزيق تلك الحجب ولكن كيف نبدأ برفع الحجاب والعربي صار ينظر اليه بوصفه عدوا
فهل تساءلنا بشكل نقدي لاتلفه العاطفة لماذا حدث كل الذي حدث ؟
ان فعل الانتحار خارق ونادر وجري حينما يحاول المرء أي يحدد ساعة موته هو الا انه فعل بشع ومر حينما يقرر المنتحر قتل الآخر
سايكولوجية الانسان اكثر تعقيدا مما نتصور لذلك فاجابة تلك السيدة وفعل الافراد هذا يكمن «الهولوكوست المعنوي» الذي احس به العربي ـ المسلم الموجود في الغرب خاصة، سواء من خلال بعض التشريعات التي بدأت تضيق باللون والعرق والانتماء او من خلال الجهل بتاريخ الحضارة العربية ـ الاسلامية

حينما دافعت امريكا عن بعض الانظمة الرجعية في منطقة الشرق الاوسط فأنها زرعت لغما موقوتا في تاريخ شعوب تلك المنطقة، في الوقت نفسه تناسل هذا اللغم في تاريخها اهي ايضا، لم تتصور انه على وشك الانفجار في اية لحظة ولكن في ارضها هي هذه المرة وهذا ما حدث
صناعة الاعداء تتطلب مهارة وخبرة كبيرتين وهذا ما امتازت به امريكا فأنتجت عبر سياساتها مجموعة متنوعة ومختلفة من الاعداء:
فالاسلحة التي تنتجها او تحاول اختبارها من وقت لآخر في جسد الشعوب هي الاعداء.
الدكتاتور الذي زرعته في حياة الشعب العربي هو العدو
حروب الترويض لا التحرير كما حدث في حرب الخليج الثانية هي الاعداء، والا بماذا تفسر امريكا استمرار الحصار على العراق ؟
نفطنا الذي هو اغلى من دمنا هو العدو
تحويل فجيعة الضحايا في احداث ١١ سبتمبر الى ممر للوصول الى المياه الدافئة هو العدو
بقاؤها في الخليج العربي هو العدو
ضحايا الحصار هم الاعداء
الحجارة ايضا هي العدو الذي يتوجب بقاءه وعدم تفتيته الى تراب دولة فلسطينية، خوف أن يفقد الحجر قداسته أولا وثانيا كي يبقى الحجر حجرا
حركات اليسار قبل انهيار الاتحاد السوفيتي هي العدو لذلك كان على بيروت عاصمة الحرية والتعدد في البلاد العربية ان تسحق بحروب اهلية طائفية ويستبيحها اجتياح إسرائيل
فاخترعت أمريكا «المجاهدين» وطالبان أعني عدوا آخر
هكذا تبلور مفهوم العداء، حتى تحول فعل الانتحار إلى عقيدة
وهستيريا الانتقام التي تصاب بها الدول اذا ما تعرضت لمثل هذه المصيبة ، هي فعل انتحار لا يقل شراسة عن فعل الانتحار الفردي اذا ما تحول الى عقيدة ايضا
العالم يعيش حالة سيرك في فيلم يخرجه الشخص نفسه الذي اعد السيناريو ووزع الادوار والشعوب ماهي الا مجرد ممثلة في تلك الأدوار فنحن الان نعيش التفاصيل الاكثر مرارة من هذا السيناريو في تاريخنا لذلك فالضربة القادمة اذا ما كانت معدة سلفا للعراق فلأن ظهور بن لادن على مسرح الاحداث أبطل

مفعول صلاحية صدام حسين كعدو فالتحالف أخذ شرعيته سواء بقوة السلاح أم بقوة اليأس أم برهان التوفيق والمصالحة

لكن قضية العراق اكثر تعقيدا مما تتصور امريكا. العراق ليس افغانستان ولو قرأت امريكا تاريخ الشعوب لما ارتكبت خطأ فيتنام من قبل. ان معرفة تاريخ العراق واناسه بشكل سليم ودقيق وموضوعي يجعل امريكا تفكر مرات عديدة قبل الشروع في حرب الانتقام الجديدة ضد العراق

ان الازدواجية والتطرف اللتان تتسم بهما الشخصية العراقية تتجلى مرة في السعي الى الخلود من خلال عناوين البطولة، لوثة الخلود هذه اصيب بها العراقي منذ ايام كلكامش، ومرة في العدمية واليأس اللتين هما نتاج الحروب المستمرة والعقيمة ،لكن العراقي بين روح المغامرة وهذا الخراب الذي يعيشه يبقى شخصية يميزها التسامح لاتعرف الحقد والا بماذا افسر بكائي وانا ابصر هلع الناس الذين كانوا يهربون وقت انهيار البرجين في نيويورك في الوقت الذي كنت احد شهود العيان اثناء حرب الخليج الثانية عندما قصفت امريكا ملجأ العامرية في بغداد وسقط في ثوان خاطفات مايزيد على ثمنمائة ضحية لم يتبق منهم سوى فحم اسود ! تطرف العراقي لا يعرف الانتقام، تبقى روحه تحب الحياة و لاتفكر بالانتحار بالمعنى الذي تدور فيه هذه المفردة.

ثم هل طرحت على نفسها امريكا اسئلة جوهرية وهي تعد الآن إلى إزاحة النظام: كيف سيتعاطى معها عراقيو الداخل ؟ هذا اذا ماعرفنا حقيقة ان النظام وعلى مدى سنوات طويلة قد غرز مفهوم العداء في نفوس كل العراقيين ضد امريكا من جهة ومن ناحية اخرى قد عززت هذا العداء امريكا نفسها سواء من خلال بقاء الحصار الذي ادى الى موت اكثر من نصف مليون بسبب نقص الغذاء والدواء بالاضافة الى القصف الجوي المستمر والذي يذهب كل مرة ضحيته عدد من المدنيين !

فاذا ما سقط النظام بقرار أمريكي فهل ستتحالف الضحية مع قاتلها الآخر ؟

ثم مثلما كانت الخلافة «السلطة» بعد وفاة النبي محمد هي المشكلة الاولى في الاسلام فسوف يكون السؤال الأول والأهم للعراقيين «من يحكم العراق الجديد؟» خاصة وأن من يعرف تاريخ المعارضة العراقية يعرف انها لم تجتمع مع بعضها البعض الا على امر واحد هو سقوط صدام حسين أما سوى ذلك فالكل مختلفون: الاكراد يحلمون باقامة دولتهم الكردية واهل الجنوب يتطلعون الى تحالف شيعي مع ايران اما بغداد التي كانت مركز الاحداث منذ سقوط الخلافة العباسية حتى الان وهل وجود عراق مقسم سيضمن لدول المنطقة امنا اكبر من وجود عراق مريض يحكمه نظام دكتاتوري ؟

جواب هذه الاسئلة ربما يكمن في حل سحري يشكل الخلاص !

فاذا كان من سيناريو لعراق مابعد الحصار والحروب فاظنه سيكون من الاجدى بناء وطن حر مدني منفتح على الاخر يرسم سياسته مثقفوه ومفكروه لا حكام المنطقة العربية ولا بنود امريكية مسبقة.

ان من يمسك الان بزمام قرار الحرب عليه ان يتوخى الحكمة، فالحروب هي الخطأ التاريخي المروع الذي ترتكبه السياسة بحق الشعوب.

حروب الترويض لاتقل وحشية ودمارا عن فعل الانتحار، أن الاثنين يوغلان في اغتيال الحياة والسلام ولكن بأساليب مختلفة.

فأمريكا ضمن سياق «ان تكون أو أن تكون» هي الاكثر مهارة في صنع أعدائها، فما جدوى امريكا دونما عدو ؟!

لذلك فالانتقام هو العدو هذه المرة ، فمتى ستشفى امريكا من هذه الحمى ؟

ولكن ماذا سيبقى من امريكا دون هذا الانتقام الذي سيطول أو دون ان تكون امريكا هي العالم والعالم هو امريكا.

شاعرة عراقية تعيش في ألمانيا

محمد متولي

وكان العالم أبله، يرسم خرائط من الذاكرة لبلاد قد اختفت

لمرات عدة حاولت أن أدرب نفسي على التخلص من زلة اللسان المعتادة حين أقول «أيان ديكسون» بدلاً من «أيان راند»، الفيلسوفة الروسية التي قبَّلت قدمَي أمريكا الجديدة والفردية والعقلانية وكل هذا الهراء!

اليوم اكتشفت السبب وأنا أجوب الطريق بلا هدف كالعادة بلاعقلانية ولا تمجيد لأية ناطحة سحاب أو باخرة صيد عملاقة بلا وزن فعلي أقيمه لمتسكع هندي أمريكي يتخذ من المقعد المطل على الخليج بيتاً وزوجة وأكياس نايلون منتفخة بقصاصات قماش ملونة لها ـ عنده وحده ـ مغزى عميق. بلا التفاتة واحدة للأواني الضخمة التي وضعها رواد المطعم البحري تحت موائدهم والممتلئة عن آخرها بكيزان الذرة المنحولة وصدف القواقع وأرجل الكابوريا الممصوصة. وبينما أعبر بين الموائد لأجتاز الطريق لم أفكر حتى لوهلة في مباراة كرة يتحدث عنها الجميع وأنا أشاهد بعض المشجعين الحانقين يلقون بأعلامهم البراقة في سلات القمامة...

لم أُعِر انتباهاً لأيٍّ من رواد البار بحجة أنْ لا شيء يجمعهم سوى المكان ـ كما تقترح «راند» ـ والموسيقى الدائرة. لكن حتى الموسيقى كانت مسجلة تشعرك بالموت مثل صور الفوتوغرافيا القديمة، مثل التحنيط وكنت لا أبغي

أن أستمع إلى جثة وقتذاك...
حتى مضيفتي السمراء ذات النهود الرجراجة؛ علمت من زبون - لم أعره انتباهاً - أنها راحلة لتلحق بزوجها في مدينة بعيدة.
اليوم عرفت السبب وراء زلة اللسان حين ارتحت من تجوالي على كنبة رثة أمام واجهة أحد المحال، (كان محل «ديكسون للأثاث المستعمل»..)
ثم فكرت باهتمام؛ ما أجمل أن يرتاح المرء على كنبة من الفلسفات البالية!
(١٢ يوليو ٢٠٠١)

كتبت هذا النص غير ذي المغزى قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر المريرة بفترة وجيزة، كما سيخمن القارئ الذكي من التاريخ المذيل للفقرة السابقة. منذ ذلك الوقت صارت عدة نكوصات عارمة تلوح في الأفق. فعلى المستوى الشخصي، لم أكن أعير اسمي بالغ اهتمام، كوني بأميركا، إلى حد كنت معه أتلفظ به عالياً للناس في البارات بنوع من الفخر الثمل، «أيوه، أنا محمد من مصر». الآن أخبر الناس بنفس الحمية غير المبررة، «أيوه، أنا خريستوس من اليونان». كذلك أشعر الآن، متذكراً محاولتي في تلك الفقرة السخرية من مثالية السيدة «راند» كما في كتابها «رأس النافورة» و«الأطلس منكمشا»، أنّ هذه كانت رفاهية وانقضت. رفاهية تماثل الانزعاج من ارتفاع درجة حرارة الكون أو حملات إنقاذ دب الاباندا. يبدو مؤكداً أنّ مشاغل الناس الآن تنصب على معضلات أكثر جوهرية إذ هم يصارعون من أجل البقاء. فهل عادت البشرية إلى مرحلة البنى الأساسية؟ هل عدنا إلى مشكلات العرقية البائدة؟ هل هذه نهاية قبول الآخر والتنوع، والخلفيات الثقافية المتعددة؟ حسناً إذن. لقد أخذت على نفسي أن أصبح متعدد العرقيات من الداخل. سأكون نفسي لمن يعرفونني، وهو شيء يبعث على الضجر، وسأكون «خريستوس» لمن يسأل عن هويتي، ولن أعارض من يظنونني لاتينياً «أولا أومبري... ولم لا؟» والخوف أن لا قدّر الله يظن أحدهم أنني من أفغانستان. وإلا سأواجه نفس مصير تلك السيدة ذات الثمانين ربيعاً التي أوقفوها في أحد المطارات متلبسة بعصي تريكو طويلتين معتقدين أنها تحاول أن تغزل «أفغان» وهو اسم في العامية الأمريكية القديمة يطلق على نوع من الملاءات الصوف!

• شاعر مصري مقيم في الولايات المتحدة

خالد المعالي

دعني أقول

دعني أقول: إن العالَمَ لا تقومُ له قائمةٌ
ولا يمكنُ أن ينحدر الى هناك
حتى تأتي أنتَ
لتدفعهُ بيديك
ولكي تُسمعهُ رنّةَ صوتك
لكي تصرخَ من أجله
وتبكي خلفكَ الجبالُ
وتئنُّ.

دعني أقول: الليلةُ التي مرّت الآن
وانطوت كأوراق وردة ذابلة
أعادتني الى أحضان أمّي
وأرضعتني من حليبها،
دعني أريك اليوم
نهاريّ المحطّمَ
ورأسي هذا بين يدي
هجرتهُ الأحلامُ
وفارقتهُ الطمأنينة!
هل قلت: الطمأنينة؟
ربما كنتُ أعني شيئاً آخر
إذ اني فقدتها حينما في حضن أمّي.
ولكن دعني أريكَ رياحَ السموم
والدلو، ملئهُ القطْلُ
نشربه ونمضي
من هناك، من جحر ابن آوى
من مخبأ الضبّ
حلَّ الضوءُ فينا
وهبّت الريحُ
فكنّا نلوذُ بالأوهام
ونخفي رؤوسنا بأيدينا.
(٢٠٠١/١/٢٥)

رسالة الموتى

كنّا نأخذ من الموت شارتنا
ونمضي، خلفنا الحربُ تعوي
كذئبٍ والنجومُ تُومض
نحنُ نجرّ الخطى ثقالاً
على درب الحياة ونحدو
جِمالنا – الوهمَ، لكي
نسير من جديد على ذاك
الطريق الطويل.

لكنه الموتُ، أتانا وحيداً
خطَّ لنا خطوطَ المسير الى الحتف
وأبقانا أسرى تلك الليالي
نلومُ الكبيرَ ونصغي لأشباح الزمان،
فقد عادوا الينا
جرجرونا من الأحلام وألقوا بنا
الى القفر.
(٢٠٠١/١١/١٦)

هنا كانت البئر

تعبرُ اليومَ قافلتُنا
محيطَ الذكريات وتسرحُ الأوهامُ
في البيداء، حيث النهاياتُ صابرةٌ
تقفُ، الدلو مليءٌ والطيورُ تحطُّ!
(٢٠٠١/١١/٢٤)

شاعر عراقي مقيم في المانيا



The New Yorker

Frankfurter Allgemeine Zeitung

Der Spiegel

Frankfurter Allgemeine Zeitung

Süddeutsche Zeitung

Süddeutsche Zeitung

Die Welt

Merkur

Frankfurter Allgemeine Zeitung

Kölner Stadt-Anzeiger

Die Zeit

Frankfurter Allgemeine Zeitung

Die Zeit

Frankfurter Allgemeine Zeitung

Die Zeit

Frankfurter Allgemeine Zeitung

dpa

Reuters

dpa

Sebastião Salgado, Amazonas, Agentur Focus

ap

Clive Shirley/laif

Fazal Sheikh, from "The Victor Weeps", Scalo, Zürich

Reuters

Sebastião Salgado, Amazonas, Agentur Focus

Geert van Kesteren, Hollandse/Hoog

ap

Werner Bachmeier

Josephine (10), Elementary School Winkelwiese, Tübingen

Goethe-Institut Inter Nationes e.V.

Stefan Weidner

Hussain Al-Mozany

Graphicteam Köln Bonn, Michael Krupp AGD

FRANK Sprachen + Technik, Niederkassel

Köllen Druck + Verlag, Bonn

Goethe-Institut Inter Nationes

Kennedyallee 91-103, D-53175 Bonn

www.inter-nationes.de/d/pub/fikrun/bestellung.html

ISSN 0015-0932

GOETHE-INSTITUT INTER NATIONES

FIKRUN WA FANN

فكر وفن · عدد خاص



حوار بين الجبهات

مناقشات، تحليلات، مواقف

بعد ١١ أيلول\سبتمبر